

أيهما يقدم
التوحيد أو المصلحة؟!

تأصيل علمي في بيان حال طواغيت الحكم

للشيخ ياسر بن مسعود

(أبي عمار الحضرمي)

ضمن سلسلة: "فاعلم أنه لا إله إلا الله" الرسالة الثالثة

بيت المقدس



1443 هـ 2021 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

ضمن سلسلة: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

الرسالة الثالثة (3)

أيهما يقدم: التوحيد أو المصلحة؟!

تأصيل علمي في بيان حال (طواغيت الحكم)

وحكم المشاركة السياسية في ظل الأنظمة الديمقراطية ورد شبهات الديمقراطيين وما هو البديل؟

بقلم

ياسر بن مسعود

(أبي عمار الحضرمي)

تقبله الله

بيت المقدس

الفهرس

مقدمة الناشر

بين أيدينا الرسالة الثالثة من سلسلة "فاعلم أنه لا إله إلا الله" بعنوان "**أيهما يقدم: التوحيد أو المصلحة؟!**"، كتبها الشيخ المجاهد أبو عمار الحضرمي، رحمه الله، لتقديم تأصيل علمي في بيان حال طواغيت الحكم، وحكم المشاركة السياسية في ظل الأنظمة الديمقراطية ورد شبهات الديمقراطيين وما هو البديل في هذه الحال.

وتولت مؤسسة بيت المقدس تنسيق الكتاب وضبط آياته ونصوصه، ونشره كإضافة مهمة للمكتبة الجهادية والإسلامية، سائلين الله عز وجل أن يكتب أجر كاتبه وينفع بجهده ويجزيه عن أمة الإسلام خير الجزاء.

هذا والحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد ﷺ وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾ [الأحزاب: 39].

ففي زمن غربة الدين وشدة ضغط الواقع وفتنة الشهوات والشبهات وتلبيس الأحبار والرهبان وكتمان الحق الذي أمر الله بالصدع به والإعراض عن تعلم أصل الدين عند كثير من الناس: صار من الأمور المسلّمات: (جواز المشاركة السياسية في ظل الأنظمة الديمقراطية)...

وبينما ظهرت في الأفق أمنية المسلمين بـ (تحكيم الشريعة وإعادة الخلافة على منهاج النبوة) في أرض الواقع في بعض أقطار الأرض.. ظهر علينا (قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا) ووقفوا حجر عثرة أمام مشروع المسلمين (الحكم بالشريعة) بتسويقهم للمشروع الأمريكي الغربي (الديمقراطية) وقالوا بلسان الحال والمقال: "أن طريق الديمقراطية هو الخيار المناسب والوحيد لتحكيم الشريعة**!** فهو لا يكلف سوى أن تضع هذه الأوراق في صناديق الاقتراع، وفي اليوم التالي تخرج لنا دولة الإسلام التي نريد**!**".

مع أنهم كانوا بالأمس يقولون: (الإسلام هو الحل**!**) بل كانوا (يكفرون بالديمقراطية وينادون بتحريمها**!**).. ولو كان اعترافهم بهذا النكوص على الأعقاب بأنه بسبب (ضعفهم عن تحمل ضريبة دعوة الأنبياء والمرسلين)! أو بسبب (محاولة أخذ نصيبهم من الكعكة وإدراك ما يمكن تداركه)! إذن لهان الخطب.. ولكن مع ولوغهم في هذه (**النجاسات المغلظة**) ما زالوا يزعمون أن ذلك بسبب (غيرتهم للدين)! و(وحرقتهم لنصر شريعة رب العالمين)! و(وصولهم إلى النضج السياسي!) و(سياستهم الشرعية التي تجنبهم الصدام مع الطواغيت) الذي لم يهتد لهذه (السياسة الشرعية) جميع الأنبياء والمرسلين!

قال ابن القيم رحمه الله في **مدارج السالكين (354/1)**: "تبّاً لهم برزوا إلى البيداء مع ركب الإيمان، فلما رأوا طول الطريق وبعد الشقة، نكصوا على أعقابهم ورجعوا، وظنوا أنهم يتمتعون بطيب العيش ولذة المنام في ديارهم، فما متعوا به، ولا بتلك الهجعة انتفعوا! فما هو إلا أن صاح بهم

الصائح، فقاموا عن موائد أطعمتهم والقوم جياع ما شبعوا، فكيف حالهم عند اللقاء؟! وقد عرفوا ثم أنكروا!! وعموا بعد ما عاينوا الحق وأبصروا ذلك!!".

وبما أن **هذه المسألة مربوطة بـ(التوحيد) و(أوثق عرى الإيمان) ويستدل لها وعليها بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) و(إن الحكم إلا لله) التي بعث الرسل كافة من أجلها، وخلق الخلق كلهم لتحقيقها، وأنزلت الكتب من أولها إلى آخرها لتقريرها.. هذا مبدؤها ومنتهاها**... فيلزم وجوب بيان حقائق الإسلام جميعها، وأركان التوحيد كلها، حتى يُعرف الحق من الباطل والإيمان من الكفر ولا تشتبه المفاهيم والرايات... **فبيان هذه المسألة إذن هو عهد الله إلينا: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾** [آل عمران: 187].

فلا ملجأ إذن ولا نجاة لأهل العلم إلا بالبيان والصَّدع بكلمة الحق وإقامة الحجَّة بها على الكافة وإبراء الذمة بنصح الأمة، كما قال تعالى ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً إِلَّا بَلَاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ [الجن: 22-23]. وقال تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 160]. يقول ابن كثير يرحمه الله: "هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب من بعد ما بينه الله تعالى لعباده في كتبه التي أنزلها على رسله".

ومما يدل على خطر هذه المسألة: قول الإمام الشنقيطي رحمه الله: "اعلموا أيها الإخوان: أنَّ الإشراك بالله في حكمه والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد، لا فرق بينهما البتة! فالذي يتبع نظاماً غير نظام الله وتشريعاً غير تشريع الله – أو غير ما شرعه الله – وقانوناً مخالفاً لشرع الله من وضع البشر مُعْرِضاً عن نور السماء الذي أنزله الله على لسان رسوله... من كان يفعل هذا هو ومن كان يعبد الصنم ويسجد للوثن لا فرق بينهما البتة بوجه من الوجوه! فهما واحد، كلاهما مشرك بالله! هذا أشرك به في عبادته، وهذا أشرك به في حكمه، كلهما سواء" اهـ.

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ وفي قراءة ابن عامر من السبعة بصيغة النهي: ﴿ولا تُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾ ولقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وكلاهما في سورة الكهف.

قال سيد رحمه الله: "إن الذين يحكمون على عابد الوثن بالشرك ولا يحكمون على المتحاكم إلى الطاغوت بالشرك ويتحرجون من هذه ولا يتحرجون من تلك، إن هؤلاء لا يقرؤون القرآن ولا يعرفون طبيعة هذا الدين، فليقرؤوا القرآن كما أنزل الله وليأخذوا قوالبه بجدّ ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾".

فهذه المسألة في شريعة الله مسألة (إيمان وكفر) وليست مسألة اجتهادية.. فهي حق الله وليست حق لنا حتى نتنازل عنها..

قال سيد رحمه الله: "إن (شريعة الله) تعني كل ما شرعه الله لتنظيم الحياة البشرية.. وهذا يتمثل في أصول الاعتقاد، وأصول الحكم، وأصول الأخلاق، وأصول السلوك، وأصول المعرفة أيضاً، ويتمثل في الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والأصول التي تقوم عليها، لتتمثل فيها العبودية الكاملة لله وحده، ويتمثل في التشريعات القانونية، التي تنظم هذه الأوضاع".

ويقول رحمه الله: "لعله يثار هنا سؤال: (أليست مصلحة البشر هي التي يجب أن تصوغ واقعهم؟!) ومرة أخرى نرجع إلى السؤال الذي يطرحه الإسلام ويجيب عليه:" أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ؟""وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ"! إن مصلحة البشر متضمنة في شرع الله، كما أَنزله الله، وكما بَلَّغه عنه رسول الله.. فإذا بدا للبشر ذات يوم أن مصلحتهم في مخالفة ما شرع الله لهم، فهم.. أولاً: (واهمون) فيما بدا لهم.﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى، أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى، فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [النجم: 23-25]. وهم ثانياً: (كافرون)! فما يدعي أحد أن المصلحة فيما يراه هو مخالفاً لما شرع الله، ثم يبقى لحظة واحدة على هذا الدين! ومن أهل هذا الدين!" اهـ.

فـ (الديمقراطية) دين قائم على نظم واعتقادات وقوانين، ولهم كتاب مقدس! لا بد أن يعترف ويلتزم بها كل من شارك فيها - سواء كان انتسابا للأحزاب أو مشاركة في الانتخابات- وهي تعتبر في دين الإسلام: طاغوت ينازع الله في (8) خصائص من خصائصه سبحانه (الربوبية والحكم

والتشريع والأمر والنهي والتحليل والتحريم والسيادة)، وفيه (20) نوع من أنواع **الكفر البواح! ومن كان جاهلا فليعلم! ومن كان نائما فليستيقظ!** (هذا هو الموجز... ولنبدأ بالتفصيل).

***وقبل الدخول في بيان هذه المسألة: نحب أن ننبه إلى أمر مهم:** إننا لا نُكفِّر مسلماً بكبيرة ما لم يستحِلّه، ولا نكفِّر الناس كلهم بالعموم.. وإنّما نكفِّر من هدم التوحيد أو أعان على هدمه أو أتى بشيء من نواقضه أو عادى أهله نصرة لأعدائه من أهل الشرك والتنديد ومظاهرة لهم على الموحدين.... ونعرف أنّ للكفر شروطاً وموانع، ولا نكفِّر إلاّ باستيفاء الشروط وانتفاء الموانع، ونعلم أنّ المرء قد يصدر منه قول الكفر أو عمله ولا يكفر لقيام مانع من موانع التكفير.

ولذلك نقول: لا يجوز تكفير عوام المسلمين الذين يشاركون في تثبيت (النظام الديمقراطي) من خلال هذه الانتخابات إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة؛ وذلك لغربة الدين في هذه المسألة ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 42].

فنعذر عوام المسلمين من كان جاهلاً بحقيقة هذه المجالس التشريعية والدستور والنظام الديمقراطي وطبيعة عمل أعضائه، فهذا يجب إقامة الحجة عليه وتعريفه بحقيقة وظيفة من ينيبهم ويختارهم، يقول شيخ الإسلام: "وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين –وإن أخطأ وغلط- حتى تقوم عليه الحجة، وتبين له المحجّة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة" أهـ. مجموع الفتاوى (250/12).

وقد كتبت هذه النصيحة مؤملا من الله أن يكون **مرجعا مختصرا لإخواني الموحدين _علما وعملا ودعوة ومذاكرة ومناظرة_** لمعرفة أساس دينهم الذي أنزله الله على رسوله ﷺ في هذه المسألة الكبيرة (حكم المشاركة السياسية في ظل الأنظمة الديمقراطية)، وليكونوا على بصيرة من دينهم وليردّوا على شبهات شياطين الإنس والجن الذين يصدون عن سبيل الله، وجعلته على شكل رسائل قرآنية؛ ليسهل فهمها ومذاكرتها... فما كان من صواب فمن الله وحده وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منهما... نسأل الله الهداية والسداد..."اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا إلى ما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم".

وعذرا إن قسوت في بعض العبارات فـ (الذي يُبكيك ويَبكي عليك خير من الذي يُضحكك ويَضحك عليك!) و(الصديق من صدَقك لا من صدّقك!)..

الرسالة الأولى: ﴿قُلْ ءأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾

وهو سؤال لا جواب عليه! وفيه من الاستنكار ما يقطع الألسنة دون الجواب عليه! ومثله قوله تعالى: "والله يعلم وأنتم لا تعلمون" أي والله يعلم الخير والشر وأنتم لا تعلمونهما؛ لأن الله يعلم الأشياء على ما هي عليه والناس يشتبه عليهم العلم فيظنون الملائم نافعا والمنافر ضارا، وعلمه تعالى كامل وعلمنا ناقص، فقد تخفى المصلحة والعاقبة علينا، أو تشتبه المصلحة بالمفسدة، فلا صلاح للمكلف إلا في طاعة علام الغيوب؛ ليحوز سعادة الدارين، والإنسان إذا تصور قصور نفسه وكمال علم الله تعالى علم أنه لا يأمر العبد إلا بما فيه خيره وصلاحه، فيلزم نفسه امتثاله وإن كره طبعه فكأنه تعالى يقول: يا أيها العبد! علمي أكمل من علمك فكن مشتغلاً بطاعتي ولا تلتفت إلى مقتضى طبعك وهواك.

فالله تعالى قد أوضح لنا الأدلة وبين لنا البراهين في كتابه ودلنا على طريقة عباده الأبرار ومذهبهم كما في قول الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: 32]. فمن انحرف عن علم الله الخالص الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه..

واتبع أقاويل الرجال أو استحساناتهم واستصلاحاتهم لم يدرك الحق ولا نال الصواب.. ومثل الآية المتقدمة قول الله تبارك وتعالى ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 71]، والآية تدل على أن الله تعالى هو الخالق وهو أعلم بما فيه صلاح العباد واستقامة أمورهم فله تبارك وتعالى الخلق والأمر، ولو اتبع الحق أهواء المخلوقين لفسدت السماوات والأرض.

وتدل الآية على أن السماوات والأرض إنما تقوم على الحق، وأما الأهواء المضطربة المختلفة فلو اتبعها الحق لاختل نظام العالم، وعمه الفساد والفوضى والاضطراب.

وفيها أن المخلوقين ضعفاء في عقولهم وإدراكهم فلا يعلمون بعواقب الأمور، ولا يحيطون بمصالحهم، فلو اتبع الحق أهواءهم لانفرط نظام العالم وخرج عن الصلاح.

وفيها أن الشريعة جاءت بعبودية الله تعالى وإصلاح العباد، ونهت عن اتباع الأهواء حتى يكون الناس عبادا لله تعالى، ولو انعكس الأمر واتبع الحق أهواء الناس لترك الإسلام، وخرج الناس من عبودية الله تعالى، وعمهم الفساد والضلال.

وفيها أن الإصلاح إنما هو باتباع الحق، وأما اتباع الأهواء فهو إفساد في الأرض، ولو ادعاه المفسدون إصلاحا، وسموا أنفسهم بالمصلحين أو الإصلاحيين كالمنافقين الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي ٱلأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 11 -12].

وفيها أن إصلاح الرعية والإحسان إليهم لا يكون باتباع أهوائهم، فإن الحق لو اتبع أهواءهم لاضطربت الدولة واختل نظامها وعمها الفساد... فأنى لهذا الإنسان الضعيف من كل وجه أن يدرك مصلحته بنفسه، وأن يحيط بما فيه نفعه على وجه الكمال والتمام، فإن الإنسان ضعيف ظلوم جهول، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب: 72]..

ولو خلّي بين الناس وبين أنفسهم وتقديراتهم واستحساناتهم لأهلكوا أنفسهم، ولأوردوها موارد الشقاء والضلال، فإن الناس ضعفاء في علومهم وإدراكهم، بل لا يعلمون حقيقة الأرواح التي في أبدانهم، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّن ٱلْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء:85].

واعلم أنه حيثما وجد النص وجدت المصلحة فإن المصلحة ملازمة للنص قطعاً، فإذا نظرت إلى نص ولم تجد مصلحة ملازمة معه ظاهرة لك فاتهم عقلك، فربما تكون المصلحة غير ظاهرة ولكن يعلمها الله، ولكن من المؤكد لدينا أن العمل بالنص هو المصلحة العظمى، ولذلك لما كان داعي عدم فهم مصلحة القتال متوافراً لأفهام المكلفين أكد الله عليه وجلّاه في آية الأمر بالقتال فقال سبحانه وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:217]، فلا يتبادر إلى ذهن المكلف من القتال إلا أنه فناء للأنفس والأموال، ولكن الحكمة يعلمها الله وأهمها أن الأبدان تفنى ويبقى الدين، تفنى بعض الأبدان وتبقى أكثرها التي ستعيش في ظل الإسلام العزيز الممتنع.

***ما هو أصل الدين ودعوة الأنبياء والمرسلين؟**

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:36].

فالرسل عليهم الصلاة والسلام – على مدار التاريخ– ليست لهم مهمة في هذا الوجود سوى تحقيق التوحيد ولوازمه والكفر بالطاغوت وكل ما يقرب إليه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في (أعلام الموقعين): "الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قومٍ من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، ومن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته" اهـ.

وقال رحمه الله أيضا: "من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء عن الرسول فقد حكم بالطاغوت وتحاكم إليه، وقد أمرنا سبحانه باجتناب الطاغوت قال سبحانه:"والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها"فالاحتكام إلى شريعة الطاغوت هو نوع من أنواع العبادة التي أمر الله بهجرها واجتنابها" اهـ (إعلام الموقعين، 49/1).

فلنسأل كل عالم وداعية وجماعة تنتسب للدعوة والإصلاح: أين أنتم من دعوة الأنبياء والمرسلين؟! لماذا لا تبيّنون هذه المسألة للناس؟! ورحم الله الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ في (مصباح الظلام) ص (328): "فمن جعل الإسلام هو الإتيان بأحد المباني فقط، مع ترك التزام توحيد الله والبراءة من الشرك فهو أجهل الناس وأضلهم" اهـ.

*إن اختيار (النظام الديمقراطي) معناه باختصار: اختيار نظام بديل عن شرع الله! إن أول خطوة ينبغي أن نقوم بها من أجل المطالبة بتطبيق شرع الله هي المطالبة بإلغاء الديمقراطية! ذلك أن البنية الهيكلية لـ (النظام الديمقراطي) لا تنسجم مع (النظام الإسلامي) بل تناقضه جملة وتفصيلا: فلكي نطبق الشريعة الإسلامية لا بد من (إلغاء الدستور العلماني الديمقراطي).. ولا بد من (حل البرلمان) ليكون التشريع لله وحده.. ولا بد من (حل الأحزاب العلمانية).. ولا بد من (إلغاء التناوب على السلطة)... والديمقراطية تعني (جعل إرادة الشعب هي الشرع البديل عن شريعة الله باعتبار أصوات

أغلب ممثليه).. و(الدستور والقانون يعبران عن إرادة الشعب وليس عن إرادة الله تعالى)! و(القاضي حين يحكم.. يحكم باسم الشعب وليس باسم الله تعالى)!

ففي (دين الديمقراطية): (إرادة الشعب) هي الوجهة والمبتغى وهي المنطلق والمنتهى! فإذا وافقت إرادة الشعب إرادة الله تعالى فالعبرة بإرادة الشعب..! وإذا خالفت إرادة الشعب إرادة الله تعالى فالعبرة بإرادة الشعب..! وسواء كانت العبرة بإرادة الشعب كله كما هو المعلن؛ أو إرادة فئة منه؛ كما هو المطبق فإن ذلك كله يتنافى مع الإسلام ويناقضه.. أما **في (دين الإسلام): فـ (الله) هو الوجهة والمبتغى وهو المنطلق والمنتهى**...

ولا يمكن أن ندعوا إلى الديمقراطية وفي الوقت نفسه ندعوا إلى الإسلام..! ولا يمكن أن ننشغل بتطبيق الديمقراطية وفي الوقت نفسه ننشغل بتطبيق الإسلام..! فلا مكان للحاكمية والتشريع لله في برنامج الديمقراطيين (الإسلاميين!) وهو (رأس الأمر)، ولا مكان لـ (ذروة سنامه) وهو الجهاد أو حتى التحريض عليه؛ لأن راعي برنامج الديمقراطية التي يطالب بها الديمقراطيين (الإسلاميين!) سيغضب ويعد ذلك تحريضا على الإرهاب! فأي إسلام سيكون حلا عند الديمقراطيين (الإسلاميين!)؟ إنه هو الإسلام (الأمريكي) الذي لا براءة فيه من الكافرين، بل التعايش السلمي.. ولا جهاد فيه، بل النضال السلمي... ولا حاكمية ومشروعية عليا لله، بل لصناديق الاقتراع والأغلبية المطلقة!

وتأكيدا لذلك: فإن ما يعرف بـ (الديمقراطية الإسلامية)! أو (الإسلام الديمقراطي)! ليس المسلمون من أراده وإنما هو مشروع كفري تبنته الإدارة الأمريكية ونظّر له منظروها، وقد ظهر ذلك في تقرير "شيرلي بينارد" وهي زوجة "زلماي خليل زاده" سفير أمريكا في أفغانستان بعد الحرب، واسم التقرير (**الإسلام المدني الديمقراطي**) وتلقاه مجلس الشيوخ والكونغرس والبيت الأبيض بالقبول! ودعا بوش نفسه إلى صدام حضارات داخل الإسلام نفسه! وفي سنة 2003م في واشنطون أقيم مؤتمر عن موضوع (**الديمقراطية والإسلام الحضاري**) وأعلن فيه بوش عن ضرورة مساندة التيارات الإسلامية السياسية التي تتبنى الديمقراطية كحل!

وجوب رد التنازع إلى الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59].

قال ابن كثير رحمه الله: "فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى:"إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ"أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم"إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ"فدل على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر" اهـ.

فالواجب على المسلم أن يتجرد للحق ولا يقلد دينه الرجال ويأخذ بالحق وإن جاءه ممن يبغضه، ويترك الباطل وإن قال به من يحبه، وينظر إلى القول الموافق لما كان عليه السلف فيتبعه وإن خالفه جميع من في الأرض، وقد قال علي رضي الله عنه للحارث الأعور: "إنّ الحق لا يعرف بالرجال، اِعرف الحق تعرف أهله".

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "لا يقلدن أحدكم دينه رجلا إن آمن آمن وإن كفر كفر فإنه لا أسوة في الشر".

وقال الشافعي رحمه الله: "أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس".

وقال ابن هبيرة رحمه الله: "إن من مكائد الشيطان أن يقيم أوثانا في المعنى تُعبد من دون الله، مثل أن يتبين له الحق فيقول: ليس هذا مذهبنا، تقليدا لمعظم عنده قد قدمه على الحق" (العقد الياقوتية 104).

فيا أخي: الحق فوق كل أحد، ووالله لن ينفعني غداً ترك الحق من أجل فلان، أو قبول الباطل من أجل فلان، فالله اللهَ في دينك لا تجعله مطية للأهواء، ولا تغتر بقلة أو كثرة، فأنت الجماعة إن كنت على الحق وإن كنت وحدك، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال ابن القيم رحمه الله: "إن العالم قد يزل ولا بد؛ إذ ليس بمعصوم، فلا يجوز قبول كل ما يقوله وينزل منزلة المعصوم فهذا الذي ذمه كل عالم على وجه الأرض وحرموه وذموا أهله". اهـ (إعلام الموقعين 173).

ولا أعني بذلك أن ينفرد كل واحد بآرائه دون رجوع إلى أهل العلم، كلا، فنحن لا نستغني عن العلماء، ولكن إن جاءك الحق من غير العالم الذي تحب فلا تردّه.

فيجب على الإنسان الالتفات إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وطريقة أصحابه والتابعين وأئمة الإسلام، ولا يعبأ بكثرة المخالفين بعدهم، فإذا علم الله من العبد الصدق في طلب الحق وترك التعصب ورغب إلى الله في سؤال هدايته الصراط المستقيم، فهو جدير بالتوفيق; فإن على الحق نورا، لا سيما التوحيد الذي هو أصل الأصول، الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو توحيد الإلهية؛ فإن أدلته وبراهينه في القرآن ظاهرة، وعامته إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم.

وإذا أردنا الحق والنصر والهداية في الدنيا والآخرة فيجب عرض عقائدنا ومناهجنا وحياتنا على هدى الله (كتاب الله وسنة رسوله ﷺ) فالحق ليس بمعدوم، بل هو موجود ولكنه مفقود عند كثير من الناس بسبب القصور أو التقصير أو كليهما، وإلا فمن بحث عنه وطلبه وصلحت نيته، وحسن قصده وجده، فمن استبان له الحق لزمه ولم يتعداه إلى غيره، فالحق هو الضالة المنشودة، والدرة المفقودة، فمتى ظفر بها المنصف استوثق منها وعض عليها بالنواجذ وثنا عليها الخناصر والبناصر، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) ﴾ [طه]. فاجعل شعارك —تحقيقاً لا ادعاءاً– قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [النساء:59]. وتمسك بالذي كان عليه (أهل السنة والجماعة) وبما (أجمعوا عليه) تكن —بإذن الله تعالى– من صنف الناجين المذكورين في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: 106].

قال ابن تيمية رحمه الله: "قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة" **مجموع** الفتاوى، 115/19.

وقال رحمه الله تعالى: "فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع فهو من أهل السنة والجماعة" المرجع السابق، 212/13.

إن تقديم (المصلحة) على (التوحيد) هو من هدي المشركين والمنافقين! فقد زعم بعض الكفار: أن نيتهم وقصدهم من الشرك التقرب إلى الله، فرَدّ الله عليهم قولهم وأكفرَهم وأكذبهم! فلو كانوا يريدون القربى إلى الله لتقربوا إليه بما شرعه لا بما نهى عنه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا

مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:3].

وقد زعم المنافقون ذلك أيضا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ألم تر إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (62) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا (63) ﴾ [النساء].

قال الإمام الرازي رحمه الله: "ذكروا في تفسير قوله:"أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ"وجوها: الأول: أن المراد منه قتل عمر صاحبهم الذي أقر أنه لا يرضى بحكم الرسول عليه السلام، فهم جاءوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام فطالبوا عمر بدمه وحلفوا انهم ما أرادوا بالذهاب إلى غير الرسول إلا المصلحة، وهذا اختيار الزجاج" اهـ.

قال الإمام الطبري رحمه الله: " (إن أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا) وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المنافقين أنهم لا يردعهم عن النفاق العِبر والنِّقم، وأنهم إن تأتهم عقوبة من الله على تحاكمهم إلى الطاغوت لم ينيبوا ولم يتوبوا، ولكنهم يحلفون بالله كذبًا وجرأة على الله: ما أردنا باحتكامنا إليه إلا الإحسان من بعضنا إلى بعض، والصوابَ فيما احتكمنا فيه إليه"اهـ.

قال الإمام الطبري رحمه الله: "نظيرها ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا الْحُسْنى﴾ فقال الله تعالى مكذبا لهم:"أُولئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ ما فِي قُلُوبِهِمْ﴾".

قال الزجاج:"معناه قد علم الله أنهم منافقون. والفائدة لنا: اعلموا أنهم منافقون"اهـ.

قال الشوكاني رحمه الله: "فيه تعجيب لرسول الله ﷺ من حال هؤلاء الذين ادعوا لأنفسهم أنهم قد جمعوا بين الإيمان بما أنزل على رسول الله، وهو القرآن، وما أنزل على من قبله من الأنبياء، فجاؤوا بما ينقض عليهم هذه الدعوى ويبطلها من أصلها ويوضح أنهم ليسوا على شيء من ذلك أصلاً، وهو إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت وقد أُمروا فيما أنزل على رسول الله وعلى من قبله أن يكفروا به... ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً﴾ أي: ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا الإحسان لا الإساءة،

والتوفيق بين الخصمين لا المخالفة لك، وقال ابن كيسان: معناه: ما أردنا إلا عدلاً وحقاً مثل قوله: ﴿وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الحسنى﴾ [التوبة:107] فكذبهم الله بقوله: ﴿أُولَئِكَ الذين يَعْلَمُ الله مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق والعداوة للحق"اهـ.

فتأمل كيف أنهم بسبب عدولهم عن التحاكم إلى الله ورسوله ليتحاكموا إلى الطاغوت وشرائع الطاغوت.. حُكم على فساد اعتقادهم وكذب ادعائهم الإيمان، علماً أنهم لم يتلفظوا بالعبارات التي تنم عن اعتقادهم واستحلالهم التحاكم إلى الطاغوت، بل لما سُئلوا قالوا: ﴿ما أردنا إلا إحساناً وتوفيقا﴾.

قال سيد رحمه الله:"فالنص القرآني يسأل مستنكرا: فكيف يكون الحال حينئذ! كيف يعودون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا إِحْساناً وَتَوْفِيقاً﴾ إنها حال مخزية.. حين يعودون شاعرين بما فعلوا... غير قادرين على مواجهة الرسول صلى الله عليه وسلم بحقيقة دوافعهم.

وفي الوقت ذاته يحلفون كاذبين: أنهم ما أرادوا بالتحاكم إلى الطاغوت – وقد يكون هنا هو عرف الجاهلية – إلا رغبة في الإحسان والتوفيق! وهي دائما دعوى كل من يحيدون عن الاحتكام إلى منهج الله وشريعته: أنهم يريدون اتقاء الإشكالات والمتاعب والمصاعب، التي تنشأ من الاحتكام إلى شريعة الله! ويريدون التوفيق بين العناصر المختلفة والاتجاهات المختلفة والعقائد المختلفة.. إنها حجة الذين يزعمون الإيمان –وهم غير مؤمنين– وحجة المنافقين الملتوين.. هي هي دائما وفي كل حين! والله – سبحانه – يكشف عنهم هذا الرداء المستعار. ويخبر رسوله صلى الله عليه وسلم أنه يعلم حقيقة ما تنطوي عليه جوانحهم"اهـ.

قال أبو السعود رحمه الله:"﴿أولئك﴾ إشارةٌ إلى المنافقين، وما فيه من معنى البُعد للتنبيه على بُعد منزلتِهم في الكفر والنفاقِ، وهو مبتدأٌ خبرُه "الذين يَعْلَمُ الله مَا فِي قُلُوبِهِمْ" أي من فنون الشرورِ والفسادِ المنافيةِ لما أظهروا لك من الأكاذيب"اهـ.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ إشارة فاضحة لهؤلاء المنافقين، ممسكة بهم وهم متلبسون بنفاقهم.. وهذه الإشارة تكاد تكون يدا آخذة بناصية كل منافق من هؤلاء المنافقين، يجد كل منافق مسّها، ويستشعر اشتمالها على وجوده، والإبهام في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾

للإشارة إلى خفائه إذ يخفونه ويبدون غيره، وإلى أنه شيء كثير من الفساد والانحراف النفسي يُحكمون إخفاءه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ دعوة للنبي الكريم بالإغضاء عنهم، وترك مماراتهم والجدل معهم.. وذلك هو سبيل النبي في موقفه من أهل الجدل والمراء، في كل حال يلتقى فيها مع أصحاب النفوس المريضة، والطبائع السقيمة، حيث ينصح له الله سبحانه بقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:199].

وقوله تعالى:"وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغاً"استيفاء لرسالة الرسول واستكمال لكمالها.. حيث لا تترك هؤلاء المرضى الذين يأبون أن يستطبّوا لدائهم، وأن يتناولوا ما يقدم لهم من دواء، بل إن واجب الرسالة أن تبالغ في النصح لهم، وألا يحجزها هذا الضلال الذي يتخبطون فيه عن أن تسمعهم كلمات الله، وأن تشقّ طريقها إليهم من خلال هذا الضباب الكثيف المنعقد على بصائرهم، وبهذا تقوم الحجة عليهم، وتنقطع أسباب معاذيرهم.. ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:42].

وفى هذا ما فيه من رحمة الله، ما تحمل رسالة الإسلام من خير عميم للناس، تسوقه إليهم من كل وجه، وتلقاهم به في كل سبيل، حتى ولو كانوا على طريق الضالين المعاندين.. إنها رحمة الله، تتلمس طريقها إلى كل قلب، وترسل شعاعها إلى كل إنسان.. ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها﴾ [الأنعام:104].

والخلاصة يا أخا التوحيد، أن قضيتنا مع أناس قد هدموا التوحيد فآمنوا بالطاغوت.. ولم يكفروا به.. وهذا ناقض من نواقض الإسلام والإيمان، وعمل كفري ظاهر لا يبحث فيه عن الاعتقاد أو حسن النية! وقد نصّ الوحي كما تقدم في الآيات على تكذيب إيمان من لم يكفر بالطاغوت وأراد التحاكم إليه، فنحن نحكم ببطلان إيمان أمثال هؤلاء ظاهراً وباطناً أيضاً تصديقاً لله وإيماناً بكلماته، ونُكذّب هذا المتحاكم للطاغوت ولو زعم الصدق والإيمان والتوفيق والإحسان، ولو صرّح بأن الشريعة أفضل من دين الطاغوت وقانونه، وأقر بوجوب تحكيم الشرع أو قال: ادعوا لنا.. أو أعينونا..! ونحوه مما يضحكون به على السفهاء، ويرقّع به لهم المرقّعون الضالون.. ما دام مستمراً في التحاكم للطواغيت، داخلاً في دينها غير كافر بها.. اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

الرسالة الثانية: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

مفهوم الآية: يقتضي أن من آمن بالله ولم يكفر بالطاغوت، أو كفر بالطاغوت ولم يؤمن بالله لا يكون قد استمسك بالعروة الوثقى وشهد أن لا إله إلا الله.

وتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله تعالى، له دلالات عظيمة، منها: عدم الاستهانة بقضية الكفر بالطاغوت، وبيان أنه أصل هام تبنى عليه بقية الأصول والفروع.

ومنها: أنه لا بد من أن يسبق الإيمان الكفر بالطاغوت، ولو قُدم الإيمان على الكفر بالطاغوت فإن الإيمان لا ينفع صاحبه في شيء إلا بعد الكفر بالطاغوت والتخلي عن الشرك.

1- قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [البقرة: 256].

2- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة: 257].

3- قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء: 51].

4- قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ [النساء: 60].

5- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾ [النساء: 76].

"6- قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: 60].

7- قال الله تعالى: ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36].

8- قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: 17] فهذه ثمان آيات في القرآن الكريم ورد فيها ذكر الطاغوت.

فالله قد فرض علينا (الكفر بالطاغوت) و(اجتناب الطاغوت)، وكثير من الناس لا يعرف ما معنى (الطاغوت)؟ فكيف يجتنبه ويكفر به؟!

***ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:**

1-توحيد الربوبية: إفراد الله بأفعاله، كالخلق والتدبير والحكم والتشريع والاستئثار بعلم الغيب.

2- توحيد الألوهية: إفراد الله بأفعال العباد، كالخوف والرجاء والذبح والنذر والتحاكم.

3-توحيد الله بأسمائه وصفاته: وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو نفاه عن نفسه أو أثبته له رسوله ﷺ أو نفاها عنه من غير تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف.

* (**العبادة**): كل ما أمر الله به أو أثنى عليه من الأعمال والأقوال، كالذكر والقتال والذبح والتوكل والإنابة.

قال الإمام السعدي رحمه الله: "إن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده: (أن يصرف العبد نوعا أو فردا من أفراد العبادة لغير الله".

فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده: توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره: شرك وكفر. فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء"اهـ.

***و (الطاغوت)** لغة: ما تجاوز حده، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11].

واصطلاحا: قال ابن جرير الطبري رحمه الله:"والصواب من القول عندي في (الطاغوت): أنه كل ذي طغيان على الله، فعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، إنسانا كان ذلك المعبود، أو شيطانا، أو وثنا، أو صنما، أو كائنا ما كان من شيء".

ويمكن أن نقول: له تعريفان: **(1) تعريف متعلق بتوحيد الربوبية: وهو (كل من تجاوز حده وغَلا في الكفر وادّعى خاصية من خصائص الله تعالى)** والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:29].

قال الإمام السعدي رحمه الله:"وأي ظلم أعظم من ادعاء المخلوق الناقص، الفقير إلى الله من جميع الوجوه مشاركة الله في خصائص الإلهية والربوبية؟**!**"اهـ.

يقول مجاهد:"الطاغوت: الشيطان في صورة الإنسان يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم".

قال الجوهري:"الطاغوت: الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال) اهـ.

قال في (**الكشاف**): "**و**الطاغوت: كعب بن الأشرف، سماه الله (طاغوتا) لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم إليه تحاكما إلى الشيطان، بدليل قوله:"وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ""اهـ.

قال الإمام الطبري رحمه الله: "الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِقَلْبِكَ فَتَعْلَمَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ صَدَّقُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ, وَإِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْكُتُبِ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا﴾ فِي خُصُومَتِهِمْ ﴿إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ يَعْنِي: إِلَى مَنْ يُعَظِّمُونَهُ وَيَصْدُرُونَ عَنْ قَوْلِهِ وَيَرْضَوْنَ بِحُكْمِهِ مِنْ دُونِ حُكْمِ اللَّهِ" اهـ.

قال ابن عاشور رحمه الله في (**التحرير والتنوير**): "قد يطلق الطاغوت على عظيم أهل الشرك كالكاهن؛ لأنهم يعظمون لأجل أصنامهم" اهـ.

فـ (الكاهن) الذي يدعي علم الغيب: طاغوت؛ لأنه تجاوز حده وادعى خاصية من خصائص الله تعالى وهو الاستئثار بعلم الغيب قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: 65] والمقر له بذلك: مشرك؛ لأنه اعتقد أن هناك من يشارك الله في علم الغيب.

وأيضا: فإن من خصائصِ وصفاتِ اللهِ تعالى أنَّه الحَكَمُ وإليهِ الحُكْمُ؛ لا شريكَ له في الحُكْمِ والتشريعِ؛ فالحقُّ ما حكَمَ عليه الخالقُ سبحانه وتعالى بأنَّه حقٌّ، والباطِلُ ما حكَمَ اللهُ تعالى عليه بأنَّهُ باطلٌ، والحلالُ ما حكَمَ اللهُ تعالى عليه بأنهُ حَلالٌ، والحرامُ ما حَكَمَ اللهُ تعالى عليه بأنَّه حرامٌ.. فالحكمُ على الأشياءِ إليه وحدَهُ سبحانه وتعالى لا لغيرِهِ، كما قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:40].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾ [الكهف:26].

فإن زعَمَ مخلوقٌ لنفسِه هذا الحقّ، وقالَ: الحكمُ لي، ولي الحقُّ في أن أُشَرّعَ، وأحلِّلَ، وأحرِّمَ، وأن أحكمَ على الأشياءِ بالتحسينِ والتقبيحِ من تِلقاءِ نفسي من دونِ اللهِ عز وجل.. فهو حينئذٍ ـ بهذا الادعاء الكبير الكاذِب ـ طاغوتٌ.. ومن تابَعَهُ وأقرَّه من الناسِ على هذا الادعاء فهو مشرك داخلٌ في عبادةِ الطاغوتِ من دونِ اللهِ عز وجل.

ولذلك فإن (عضو مجلس النواب) طاغوت؛ لأنه تجاوز حده وادّعى خاصية من خصائص الله تعالى وهي خاصية التشريع والتحليل والتحريم قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: 21].

والذي يطيعه في تشريعه أو ينتخبه وهو يعلم أنه مشرع فقد أشرك مع الله ربا آخر قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: 31].

روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق، عن عدي بن حاتم، رضي الله عنه، أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرَّ إلى الشام، وكان قد تنصر في الجاهلية، فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثمَّ منَّ رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها، فرجعت إلى أخيها، ورَغَّبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله ﷺ، فقدم عَدِيّ المدينة، وكان رئيسا في قومه طيئ، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدَّث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عَدِيّ صليب من فضة، فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ" قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم. فقال: "بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم".

فقد سمى الله (المشرعين): أربابا، وسمى الذين يقرون لهم بذلك: مشركين، وسماهم النبي صلى الله عليه وسلم عبّادا لهم. ولم يُتخذ ذلك (الأرباب) آلهة من حيث أن الناس يدعونه أو يعتقدون فيه أنه يضرهم وينفعهم أو أنه يُستجار به! بل قد اتخذوه إلهاً من حيث تلقوا أمره شرعاً لهم، وائتمروا بأمره وانتهوا عما نهى عنه، واتبعوه فيما حلله وحرمه، وزعموا أن له الحق في أن يأمر وينهى بنفسه، وليس فوقه سلطة قاهرة يحتاج إلى الرجوع والاستناد إليها.

وتعريف (2): متعلق بتوحيد الألوهية وهو (كل من تجاوز حده وغَلا في الكفر فصُرف له نوع من أنواع العبادة وهو راض) والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:29].

قال الواحدي رحمه الله: "قال جميع أهل اللغة: الطاغوت: كل ما عبد من دون الله" اهـ.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: "روى ابن وهب عن مالك بن أنس: الطاغوت ما عبد من دون الله" اهـ تيسير العزيز الحميد.

قال ثعلب: "كل من عبد شيئاً من دون الله فقد اتخذه ولياً" قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [سورة مريم:45].

قال ابن تيمية رحمه الله في (الفتاوى:200/28): "الطاغوت فعلوت من الطغيان، والطغيان: مجاوزة الحد وهو الظلم والبغي، فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارها لذلك طاغوت، ولهذا سمى النبي ε الأصنام طواغيت في الحديث الصحيح لما قال:"ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت"متفق عليه.

والمطاع في معصية الله، والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق سواء كان مقبولا خبره المخالف لكتاب الله، أو مطاعا أمره المخالف لأمر الله هو طاغوت ولهذا سمى من تحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت، وسمى فرعون وعاداً طغاة" اهـ.

فمثلا: (الدعاء): عبادة قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].

وسماها الله عبادة، ووصف الذين يُدعون من دون الله أنهم يُعبدون قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: 49].

فإن كانوا راضين فهم طواغيت، وإلا فليسوا كذلك وليس عليهم ذنب كالملائكة وعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

وأيضا (التحاكم عبادة) قال ﷺ: "وبك خاصمت وإليك حاكمت" رواه البخاري ومسلم.

فإذا تحوكم إلى الله ورسوله فهي عبادة وتوحيد وإذا تحوكم إلى غيرهما فهو طاغوت، كـ (مجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة) والمتحاكِم إليها مشرك؛ لأنه صرف شيء من العبادة لغير الله "إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه" قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء:60].

يقول العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين رحمه الله: "فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة، فقد عبد ذلك الغير واتخذه إلهاً، وأشركه مع الله في خالص حقه، وإن فرَّ من تسمية فعله ذلك تألّهاً وعبادة وشركاً، ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغيّر أسمائها، فالشرك إنما حُرِّم لقبحه في نفسه، وكونه متضمناً مسبَّة الربّ، وتنقُّصه، وتشبيه المخلوقين به عز وجل، فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه؛ كتسميته توسُّلاً، وتشفُّعاً، وتعظيماً للصالحين".

وليس شرطا أن (الطاغوت الذي يُعبد من دون الله) يزعم أنه رب وإله يخلق ويرزق! فهذا الزعم لم يدعيه أحد حتى فرعون وهامان ولم ينسبه مشركو مكة لأصنامهم ولا اليهود والنصارى لأحبارهم ورهبانهم... إنما كان طغيانهم بادعائهم خاصية من خصائص الله أو أنهم أرادوا من الناس أن يصرفوا لهم العبادة من دون الله... فقد حكى الله عن فرعون وقومه: (ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين. إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين. ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: 45-47].

قال الإمام الطبري في (التفسير 19/18): "... لنا عابدون: يعنون أنهم لهم مطيعون متذللون يأتمرون لأمرهم ويدينون لهم، والعرب تسمي كل من دان الملك عابداً له" اهـ.

أي يصرفون لهم (عبادة الطاعة والذل) التي لا يجوز صرفها إلا لله وحده... وحكى الله أيضا عن مشركي مكة أنهم لم تكن عقيدتهم في آلهتهم وأصنامهم أنها قد خلقتهم وخلقت هذا الكون، وترزقهم جميعاً، ولا أنها تهديهم وترشدهم في شؤون حياتهم الخلقية والمدنية، فالآيات الآتية تشهد بذلك قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (89) بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المؤمنون: 84- 90].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس:22-23].

إنما كانت عبادتهم لهم كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (17) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [الفرقان: 17-18].

ويتجلى من بيان هذه الآية أن المقصود بالمعبودين فيها هم الأولياء والأنبياء والصلحاء، والمراد بعبادتهم هو الاعتقاد بكونهم أجل وأرفع من خصائص العبودية، والظن بكونهم متصفين بصفات الألوهية وقادرين على الإعانة الغيبية وكشف الضر والإغاثة، ثم القيام بين يديهم بشعائر التكريم والتعظيم.

وأما الأحبار والرهبان فبادعائهم خاصية (التحليل والتحريم والتشريع) والذي يطيعه في تشريعه، فقد أشرك مع الله ربا آخر وعبده من دون الله، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:31].

وما أحسن ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ*فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات الآية 86-87] "أي فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره؟ وما الذي ظننتم به حتى جعلتم معه شركاء؟ أظننتم أنه محتاج إلى الشركاء والأعوان؟ أم ظننتم أنه يخفى عليه شيء من أحوال عباده حتى يحتاج إلى شركاء تعرّفه بها كالملوك؟ أو هو قاسٍ فيحتاج إلى شفعاء يستعطفونه على عباده؟ أم ذليل فيحتاج إلى وليّ يتكثر به من القلة ويتعزز به من الذلة؟ أم يحتاج إلى الولد فيتخذ صاحبة يكون الولد منها ومنه؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً" مدارج السالكين 3\325.

فإذا أردت أخي الموحد أن تدعو شخصا وقع في الشرك فعليك أولا أن تثبت له أن عمله هذا (عبادة) ثم أخبره أن صرفه لهذه العبادة لغير الله يسمى شركا-كما مرّ في الأمثلة السابقة-.

وقال الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله: "الطاغوت عام: فكُل ما عُبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مُطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت، **والطواغيت كثيرة ورءوسهم خمسة:**

(الأول) الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: 60].

(الثاني) الحاكم الجائر المغيّر (المشرع) لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ [النساء:60].

(الثالث) الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44].

(الرابع) الذي يَدّعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ [الجن: 26 – 27] . وقال تعالى ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:59].

(الخامس) الذي يُعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة، والدليل قوله تعالى ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:29] " اهـ.

والله أنزلَ الكتابَ ليُعملَ به في الواقعِ ويُنزّلَ عليهِ، ويُحكّم في أفعال الناس وأقوالهم، ويُستنار به فيما يحدثُ من أحداثٍ.

والبيانُ الَّذي أخذه الله على العلماءِ كما يشملُ الصدع بالحق والآياتِ والبيّناتِ، يشملُ تنزيلها على الواقع وبيان حكم الله فيها، وإلاّ فالآياتُ محفوظةٌ في القراطيس والصدور، والأحاديث مزبورةٌ في الصحاح والمسانيد، فما يفعل العالم وما الحاجة إليه، إن لم يصدع بحكم الله في واقعه ويبيّنْ ما أمر الله به وينزّله في مواضعِهِ؟! وخاصة في مسألة أصل الدين ودعوة المرسلين ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

فما أهم الطواغيت والآلهة والأرباب اليوم في واقعنا المعاصر التي تعبد من دون الله؟

الجواب:

1- الحكام والحكومات المبدلة للشريعة.

2-الديمقراطية والأحزاب المنضوية تحتها.

3-الدستور (الوضعي).

4- أعضاء مجلس النواب (المجلس التشريعي).

5- قضاة المحاكم الوضعية (المحكمة التجارية، المحكمة العسكرية، المحكمة الجزائية،...).

6- قوانين هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وحقوق الإنسان والقوانين الدولية.

الرسالة الثالثة: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾[1]

"إن نقطة البدء في أية حركة إسلامية صحيحة هي (تعرية الواقع الجاهلي) الذي تعيشه معظم البلاد الإسلامية وتجريد هذا الواقع من ردائه الزائف، وإظهاره على حقيقته وما يمثله من كفر وشرك وردة ونفاق، ووصفه بالوصف الذي يمثل واقعه، حتى ينتبه الناس إلى حقيقة واقعهم وما انتهى إليه أمرهم في شأن الإسلام والمسلمين" انظر في ظلال القرآن/ سيد قطب ج10 ص215.

إن أشق ما تعانيه تجمعات أهل السنة والجماعة اليوم هو عدم استبانة طريق المسلمين الصالحين، وطريق العلمانيين المشركين المجرمين، واختلاط الشارات والعناوين والتباس الأسماء واللافتات والتيه الذي لا تتحدد فيه مفارق الطريق! ويعرف أعداء أهل السنة والجماعة هذه الثغرة سواء كانوا من الرافضة الباطنية أو كانوا من العلمانيين، فيعكفون عليها توسيعاً وتمييعاً وتلبيساً وتخليطاً، حتى يصبح الجهر بكلمة الفصل تهمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام!.. تهمة تكفير (المسلمين)!!! ويصبح الحكم في أمر الإسلام والكفر مسألة المرجع فيها لعرف الناس واصطلاحهم وأذواقهم!! لا إلى قول الله ورسوله ﷺ، ويوصف من يجهر بالحق بالتطرف والتزمت والتعصب والإرهاب!! أجل! يجب أن يجتاز أهل السنة والجماعة اليوم، خاصة أصحاب الدعوة إلى الله بهذه العقبة، وأن تتم في نفوسهم هذه الاستبانة كي تنطلق طاقاتهم كلها في سبيل الله، لا تصدها شبهة، ولا يعوقها غبش، ولا يميعها لبس. فإن طاقاتهم لا تنطلق إلا إذا اعتقدوا في يقين أنهم على الحق... وأن الذين يقفون في طريقهم ويصدونهم ويصدون الناس عن سبيل الله على الباطل. كذلك لن يحتملوا متاعب الطريق إلا إذا استيقنوا أنها قضية إيمان وكفر... إسلام أو علمانية تشرك بالله وإن شيدت المساجد وتشدقت بالعقيدة الإسلامية وأقامت في أحزابها لجاناً للشؤون الدينية لتضليل العوام!!

***لله حقوق وخصائص لا يشاركه فيه أحد:**

1- (الربوبية) قال رسول الله ﷺ، فيما يرويه مسلم بإسناده عن العباس بن عبد المطلب: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً".

(1) [الأنعام: 55]

وقال ﷺ: "من قال رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً وجبت له الجنة" أخرجه ابن حبان والحاكم عن أبي سعيد بإسنادٍ صحيح (صحيح الجامع الصغير).

فالله سبحانه هو الذي خلق الخلق وهو مالكهم وهم عبيده وهو أعلم سبحانه بما يُصلح أمورهم ويُقيم حياتهم، و(الرب) هو السيد والمالك والمصلح والمدبر والمربي، فالسيد هو الذي يحكم في عبيده، والمالك والمدبر هو الذي يُدير أمور مملوكيه ويفصل بينهم، والمصلح هو الذي يصلح شؤون خلقه ويُقيمها على أكمل وجه، والمربي هو الذي يربي خلقه بنعمه، ومن أعظم نعمه أن يتولى الفصل بينهم والحكم بينهم بما تستقيم به أمور معاشهم ومعادهم. ولا يتحقق توحيد الربوبية إلا بإفراد الله- جل وعلا- بالخلق والأمر بقسميه: الكوني والشرعي؛ لأن الذي أوجب الرضا بقدره هو الذي أوجب التحاكم إلى شرعه، وإفراده بالأمر الشرعي يقتضي الإقرار له وحده بالسيادة العليا والتشريع المطلق، فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه، ومن سوَّغ للناس إتباع شريعة غير شريعته فهو كافر مشرك.

قال تعالى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 31].

وقد أخرج **الإمام أحمد والترمذى** عن عدى بن حاتم ﷺ أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ﴾ قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم فقال ﷺ: "بلى إنهم حرَّموا عليهم الحلال وأحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم وذلك عبادتهم إياهم".

قال الربيع بن أنس رحمه الله قلت لأبى العالية رحمه الله كيف كانت تلك الربوبية في بنى اسرائيل؟ قال: "كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه فقالوا لن نسبق أحبارنا بشيء فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم! فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم" اهـ.

فلم تكن الربوبية في بني إسرائيل في جانب الخلق أو القضاء الكوني، بل كانت في جانب الهداية والأمر الشرعي، فكان الأحبار والرهبان يحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال فيتبعونهم على ذلك، ويتركون تحريم التوراة وتحليلها إلى تحريم هؤلاء وتحليلهم فاتّخذوهم بذلك أرباباً من دون الله.

إن أدنى درجات الرضا بالله رباً والتي ينجو بها المرء من الشرك الأكبر تشمل مما تشمل الإقرار لله- عز وجل- بالتفرد بهذا الحق، وعقد القلب على أن التحليل والتحريم والتشريع المطلق لا يكون إلا لله - جل وعلا- وحده، فكما أن الخلق كله لله لا ينازعه أحد، فإن الأمر كله لله لا يشاركه فيه أحد، ومن زعم لنفسه شيئاً من ذلك فقد أشرك بربه العظيم ضرورة، لأن المنازعة في الأمر كالمنازعة في الخلق ولا فرق، كما قال الله تعالى: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

وأن الذي قال: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: 62].

هو الذي قال: ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: 154].

وعلى هذا فإن من يَردّ على الله أمره في هذا العصر وفي كل عصر، أو يقف معترضاً على شرائعه ويسعى في تعطيلها، أو يسوّغ إتّباع أحد من دونه فإنه يكون قد كفر بربوبية الله عليه وابتغى لنفسه رباً من دون الله.

2- (السيادة) عن مطرف قال: قال أبي (عبد الله بن الشخير ﷺ): انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ، فقالوا: أنت سيدنا قال: "السيد الله".

قالوا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طَولاً.

قال: فقال: "قولوا بقولكم، ولا يستجرينكم الشيطان" رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني.

قوله""السيد الله"أي: السؤدد على الحقيقة إنما هو لله عز وجل، فهو المالك الحاكم؛ لأنه المتصف بذلك على الإطلاق، فهو الذي الخلق خلقه، والملك ملكه، وهو المتفضل بكل النعم، وهو الذي يتصرف في الخلق كيف يشاء ويتولى أمرهم ويسوسهم.

وقوله"ولا يستجرينكم الشيطان"أي: لا يستغلبنكم فيتخذكم جرياً- أي: رسولاً ووكيلاً، وذلك أنهم كانوا مدحوه، فكره لهم المبالغة في المدح، فنهاهم عنه. يريد: تكلموا بما يحضركم من القول، ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان ورسله، تنطقون عن لسانه.

3-4- (الأمر والنهي) قال تعالى:﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

والأمر في الشرع يأتي بمعنيين: الأول: الأمر الكوني، وهو الذي به يدبر شؤون المخلوقات، وبه يقول للشيء: كن فيكون، ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:82].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر:50].

الثاني: الأمر الشرعي، وهو الذي به يفصّل الحلال والحرام والأمر والنهي وسائر الشرائع، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:24].

وإذا كانت البشرية لم تعرف في تاريخها من نازع الله في عموم الخلق أو الأمر بمفهومه الكوني، فقد حفل تاريخها بمن نازع الله في جانب الأمر الشرعي وادعى مشاركته فيه، فقد حكى لنا القرآن الكريم عمن قال: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام:93].

ومن قال: ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر:29].

ولا يتحقق توحيد الربوبية إلا بإفراد الله جل وعلا بالخلق والأمر بقسميه: الكوني والشرعي، وإفراده بالأمر الشرعي يقتضي الإقرار له وحده بالسيادة العليا والتشريع المطلق، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه.

5-6- (**التحليل والتحريم**) قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس، الآية:59].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل، الآية:116].

وقال تعالى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة:31].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته (**التسعينية**):"والإيجاب والتحريم ليس إلا لله ولرسوله فمن عاقب على فعل أو ترك، بغير أمر الله ورسوله، وشرع ذلك ديناً (أي جعله شرعاً متبعاً) فقد جعل لله نداً ولرسوله نظيراً، بمنزلة المشركين الذين جعلوا لله أنداداً أو بمنزلة المرتدين الذين آمنوا بمسيلمة الكذاب، وهو ممن قيل فيه: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:21].

7- **(التشريع)** قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:21].

فقد سمّى الله المشرّع شريكاً وسمّى ما شرّع ديناً، وأصل كلمة الدين تعني الخضوع، وهكذا حال المطيع لشرع غيره فإنّما هو خاضع له، وهو معنى الدين، فهذه الآية جامعة لهذا الباب وهو تسمية المشرّع إلهاً، وتسمية الشرع الذي شرعه ديناً، وتسمية الطائع له مشركاً.

يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله في (أضواء البيان): "ولما كان التشريع وجميع الأحكام، شرعية كانت أم كونية قدرية، من خصائص الربوبية.. كان كل من اتبع تشريعاً غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع رباً، وأشركه مع الله" اهـ.

8-الحكم: قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام، آية 114].

وقال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذلك الدين القيم﴾ [يوسف:40].

فقد سمّى الله الحكم عبادة، وسمّى ما يُحكم به ديناً، فمن حكّم الله في كلّ أمر فقد عبده واتّخذ دينه ديناً، ومن حكّم الطاغوت في أيّ أمرٍ فقد عبده واتّخذ حكمه ديناً.. إن رد الأمر كله إلى الله واتخاذه وحده حكماً في كل شيء هو بعينه العبادة التي أمر الله ألا يصرف شيء منها لغيره، وهذا هو ذات الدين القيم الذي لا يرضى الله تعالى سواه وإن جهله أكثر الناس على مدار التاريخ.

وعن شريح بن هانئ عن أبيه هانئ ﷺ: "أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ سمعه وهم يكنون هانئا أبا الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال له:"إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكم"رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني.

***طاغوت (الدستور):**

و(الدستور) في الاصطلاح المعاصر: (مجموعةُ القواعدِ الأساسيةِ التي تبينُ شكلَ الدولةِ ونظامَ الحكمِ فيها ومدى سلطتها إزاء الأفراد) وهو (الكتاب المقدس)! الذي يحكم ويحدد سياسة البلاد الداخلية والخارجية ويلزم به الناس بطاعته والتحاكم إليه، و(الدستور) هو مصدر ومرجع القانون.. والقانون هو تفصيل وتطبيق الدستور، ولا حُجة ولا دستورية لقانون يخالف أو يناقض الدستور.

وإذا كان سلطان الأمة يتجسد في السلطة التشريعية، والتنفيذية، والقضائية فإنه: لا يوجد قانون بالمعنى الصحيح إلا إذا صدر عن السلطة التشريعية في الحدود التي رسمها له (الدستور)، وكلتا السلطتين التشريعية والقضائية بهذا الاعتبار مشتركتان في الخضوع لسيد الكل.. ألا وهو (الدستور).. الذي يجب أن يحني الجميع أمامه رؤوسهم صاغرين! فالدستور يعلو الجميع ولا يُعلى عليه كما يقولون..!

ولشدة رهبة القوم من الدستور – التي تأتت بعد دعاية مكثفة قد قام بها الطاغوت – فإنهم يتصورون أن يخرجوا على كل شيء أو ينقدوا كل شيء سوى الدستور الطاغوت الذي خطه الطاغوت، فالدستور – عندهم – فوق التعقيب وفوق النقد والاعتراض، والويل كل الويل لمن تسول له نفسه إهانة الدستور والتطاول عليه..!!

و(الدستور) حكمه في الشرع حكم (الياسق) أنه خليط من الأحكام الإسلامية ومن المواد الكفرية!

قال ابن كثير رحمه الله في (البداية والنهاية):"ثم ذكر الجويني نتفا من (الياسا) من ذلك: (أنه من زنا قتل، محصنا كان أو غير محصن، وكذلك من لاط قتل، ومن تعمد الكذب قتل، ومن سحر قتل، ومن تجسس قتل، ومن دخل بين اثنين يختصمان فأعان أحدهما قتل، ومن بال في الماء الواقف قتل، ومن انغمس فيه قتل، ومن أطعم أسيرا أو سقاه أو كساه بغير إذن أهله قتل، ومن وجد هاربا ولم يرده قتل، ومن أطعم أسيرا أو رمى إلى أحد شيئا من المأكول قتل، بل يناوله من يده إلى يده، ومن أطعم أحدا شيئا فليأكل منه أولا ولو كان المطعوم أميرا لا أسيرا، ومن أكل ولم يطعم من عنده قتل، ومن ذبح حيوانا ذبح مثله بل يشق جوفه ويتناول قلبه بيده يستخرجه من جوفه أولا".

وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمن ترك الشرع المحكم المنزل على مُحَمَّد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:65].

فإن قيل: إن الدستور أسلم بالمادة (3) التي تنص: (الشريعة الإسلامية مصدر جميع التشريعات)! قلنا: إن أسلم الدستور بالمادة الثالثة! فقد كفر بالمادة الرابعة والخامسة والسادسة!

*بعض المواد الكفرية الموجود في (**الدستور**) **اليمني**:

1- تنص المادة (4) من الدستور على أن (الشعبُ مالكُ السلطةِ ومصدرها).

2- تنص المادة (5) في الدستور على التالي: (يقوم النظام السياسي للجمهورية على التعددية السياسية والحزبية وذلك بهدف تداول السلطة سلمياً، وينظم القانون الأحكام والإجراءات الخاصة بتكوين التنظيمات والأحزاب السياسية وممارسة النشاط السياسي).

3- تنص المادة (6) على التالي: (تؤكدُ الدولةُ العملَ بميثاقِ الأُمَمِ المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان وميثاق جامعة الدول العربية وقواعد القانون الدولي المعترف بها بصورة عامة).

وهذه المادة قد حُشِرَ فيها أربعةُ طوامٍ كفرية نجسة أكَّدتِ الدولةُ العمل بها... والاعتراف بواحدة من هذه المواد الكفرية كفيلٌ بإبطال شرعية خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لو اعترف بها وحاشاه -رضي الله عنه- ورحمه! فكيف بالدستور كله؟؟! -وسيأتي تفصيل ذلك قريبا إن شاء الله-

موقفنا من الدستور: قال النبي ﷺ:"ألا إن كل شيءٍ من أمرِ الجاهلية تحت قدمي موضوع"**أخرجه مسلم**.

***طاغوت (ميثاق وقوانين الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان)**:

فـ (مجلس الأمم المتحدة): طاغوت ومعبود من دون الله، فهو المجلس الذي تتحاكم إليه وإلى قوانينه – من دون الله – الدول والشعوب عند حصول المنازعات والخلافات فيما بينها.. والدول والشعوب يتعاملون مع هذا المجلس الطاغوت، على أنه فوق المساءلة، أو التعقيب والاعتراض، فكل ما يصدر عنه واجب التنفيذ والقبول..!! فأيّ طاغوت يُعبد من دون الله أشد ظلما وطغيانا من هذا الطاغوت؟! ومع ذلك فالناس لا يرون حرجا في الاعتراف بشرعيته، وفي التحاكم إليه من دون الله..!!

*في المادة الأولى من (**ميثاق الأمم المتحدة**) في ((مقاصد الأمم المتحدة: (1- حفظ السلم والأمن الدولي، وتحقيقاً لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعّالة لمنع الأسباب التي تهدد السلم ولإزالتها.2- إنماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب) وهذا فيه إبطال لعقيدة الولاء والبراء من خلال إنماء الود والحب بين أمم الأرض بمختلف أديانهم الباطلة، فهذه المادة تنشد اجتماع المسلمين وعباد الصليب وعباد البقر وعباد الفئران والجرذان واليهود وعباد الشيطان وعباد الكواكب والملاحدة وغيرهم على المحبة والوئام، فعلى الأساس الوارد في نص المادة يتساوى في دين المنظمة-الميثاق- المسلم الموحد وعابد الفأران والجرذان والصليبي واليهودي المتراقص عند حائط المبكى ومن لا يعترف بوجود الله تعالى ومن يسب الله ورسوله وغيرهم، هذا ما يريده خنازير المنظمة من هذا الميثاق الإبليسي...

جاء أيضا في المادة (2): (تعمل الهيئة وأعضاؤها في سعيها وراء المقاصد المذكورة في المادة الأولى وفقا للمبادىء الآتية:

1- تقوم الهيئة على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها.

4- (يمتنع أعضاء الهيئة جميعا في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على وجه لا يتفق ومقاصد"الأمم المتحدة").

وهذه المادة تبطل فريضة الجهاد في سبيل الله، فهي تلزم الأعضاء عند نشوب نزاع ما باللجوء إلى (الوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والأمن والعدل الدولي عرضة للخطر)! وكذلك بالامتناع (عن التهديد باستعمال القوة)! فهذه المادة واضحة في إلغاء الجهاد من حسابات الدول الأعضاء المحسوبة على المسلمين؟؟؟ وما ذاك إلا لأن الجهاد في سبيل الله في نظر منظمة الأمم المتحدة يخل بالأمن والسلم الدوليين الذي يعني بقاء هيمنة ملل الكفر على المسلمين والحيلولة دون وقوع ما يعارض هذه الهيمنة... فالخنازير البشرية وحثالة الخلق القائمين على هذه المنظمة العفنة يريدون من خلال هذه المادة تحطيم ذروة سنام الإسلام الذي ركع أجدادهم لحكم الله تعالى فدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

* (**الإعلان العالمي لحقوق الإنسان**) وهو وثيقة دولية تتضمن ثلاثين مادة تتعلق بحقوق الإنسان في نظر واضعيها، وقد تبنت الأمم المتحدة الإعلان في تاريخ 10 ديسمبر 1948 وهذا الإعلان الكفري يتضمن مجموعة من الكفريات الصريحة، كما في المادة (2) (لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر).

وكما في المادة (18): (لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين. ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سرا أم مع الجماعة)) فالمرتد عن دين الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية أو إلى عبادة بوذا أو إلى عبادة البقر يتكأ على هذه المادة من هذا الإعلان الذي أقره الدستور اليمني لتبرير ردته كونها من الحقوق الإنسانية، بالدستور؟؟؟

المادة (16): 1- (للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس أو الدين، ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله) وزواج المسلمة من الكافر أياً كانت ملته يهوديا أو نصرانيا أو علمانيا حرام بنص كتاب الله تعالى.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 221].

المادة (30) ليس في هذا الإعلان نص يجوز تأويله على أنه يخول لدولة أو جماعة أو فرد أي حق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف إلى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه).

وفي هذه المادة قطعوا على كل متأول يُلبّس على الناس دينهم: أننا نأخذ هذه القوانين (وفق الشريعة الإسلامية) !

*ما هو حكم الله في الذين يطيعون الكفار في هذه الأمور الكفرية؟** قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران:100].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (25) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (26) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (27) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: 28]

***طاغوت (الحكام والحكومات المبدلة لشريعة الله)**

إن إقامة خليفة للمسلمين يحكم بما أنزل الله ويسوس رعيته بما أمر الله من أوجب الواجبات، وطاعته فيما ليس بمعصية لله من أعظم القربات، لأنه لا تستقيم أمور الناس بغير حاكم يقوم فيهم بأمر الله، ولا يستقيم أمر الحكم إلا بالاجتماع والسمع والطاعة.

ولكن لا يصح الحكم والولاية على المسلمين بما يفسد أمر دينهم ودنياهم، فلا يصح للحاكم الذي أمر الله بتنصيبه على المسلمين أن يحكم المسلمين بغير ما وُضع من أجله، ونُصِّبَ لإقامته. فالحاكم إنما وضع ليقيم أمور المسلمين؛ لذلك سُمِّي ولِيَّ أمر المسلمين، ومن أعظم أمور المسلمين إقامة شرع الله فيهم، بل لم يوضع الحاكم إلا لذلك، فإذا خالفه وحكم بما تمليه عليه نفسه، أو بقوانين مأخوذة من البشر، فلا فائدة من وضعه بل ضرر بقائه في الحكم من أعظم الضرر على المسلمين. والنبي ﷺ عندما أمر بطاعة ولاة الأمور قيّد ذلك بقيامهم بكتاب الله والحكم به، فعن يحيى بن حصين عن جدته أم الحصين قال سمعتها تقول: حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع فرأيته حين رمى جمرة العقبة وانصرف وهو على راحلته ومعه بلال وأسامة أحدهما يقود به راحلته والآخر رافع ثوبه على رأس رسول الله ﷺ من الشمس قالت فقال رسول الله ﷺ قولا كثيرا ثم سمعته يقول:"إن أُمّر عليكم عبد مجدع (حسبتها قالت: أسود) يقودكم بكتاب الله تعالى فاسمعوا له وأطيعوا"**رواه مسلم.**

أما هذه الحكومات المعاصرة فقد وقعت في نواقض الإسلام العشرة-وزد فوقها عشرة-! ولكن هناك خمس نواقض (الكفر البواح) واضحة وظاهرة للعيان لا ينكرها أحد ممن له أدنى اطلاع على واقع المسلمين:

1- (التشريع) و(الحكم) بغير ما أنزل الله من الأنظمة والقوانين الكفرية، (والقتال دونها) كالنظام الديمقراطي أو الاشتراكي وكما في التشريع والإذن في (الربا) وتقنين القوانين المخالفة

للشريعة في التعامل به، والقوانين التي شرّعوها في المحاكم التجارية والعُمّالية، والقوانين الوضعية التي وضعوها في المحاكم العسكرية والإعلامية؛ وغيرها... والله تعالى يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة/44].

والله تعالى قد سمى الحاكم بغير ما أنزل الله طاغوتا، في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:60].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى:"كل من حكم بغير شرع الله فهو: طاغوت"تيسير الكريم الرحمن: (363/1).

فإن من خصائصِ وصفاتِ اللهِ تعالى أنَّه المطاعُ لذاتِه؛ فيُطاع في جميعِ ما أمَر لأنه الله، ولأنهُ المعبودُ بحقٍ، ولأنه لا يصدرُ عنه I إلا مُطلقُ الحقِّ، ومطلقُ العدلِ؛ لكمال أسمائِه الحسنى وصفاتِه العُليا.. فإن زعمَ مخلوقٌ لنفسِه هذا الزعمُ الكبير؛ فقال: أنا المطاعُ لِذاتي؛ فكلُّ ما يصدرُ عني من أمْرٍ أو قانونٍ مُلزمٌ للناسِ.. لا يسعهم إلا طاعتي واتباعي.. لا رأيَ لهم إلا ما أرى.. ولا خيارَ ولا حقَّ لهم سوى اتباعي وطاعَتي في كلِّ ما يصدرُ عني.. فهو حينئذٍ ـ بهذا الادعاء الكبير ـ طاغوت.. ومن تابعه وأقره من الناس على هذا الادعاء.. فهو مشرك داخلٌ في عبادة الطاغوتِ من دونِ الله عز وجل.

وقال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65].

قال شيخ الإسلام في (الفتاوى 471/28):"فكل من خرج عن سنة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وشريعته، فقد أقسم الله بنفسه المقدسة أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله **صلى الله عليه وسلم** في جميع ما شجر بينهم من أمور الدين والدنيا، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه، ودلائل القرآن على هذا الأصل كثيرة".

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:121].

أخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي رحمه الله أنه سئل عن قوله"وإن أطعتموهم إنكم لمشركون"فقيل تزعم الخوارج أنها في الأمراء! قال: كذبوا إنما أنزلت هذه الآية في المشركين، كانوا يخاصمون أصحاب

رسول الله ﷺ فيقولون: أما ما قتل الله فلا تأكلوا منه – يعني الميتة – وأما ما قتلتم أنتم فتأكلون منه! فأنزل الله ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ قال: لئن أكلتم الميتة وأطعتموهم إنكم لمشركون".

فإن قيل: لا أحد من الحكام يقول أن الميتة كالمذبوحة! قلنا: نعم ربما! ولكنهم يقولون: "إنما البيع مثل الربا"! ولذلك يُبيحون الربا كإباحة البيع والتجارة ويُقيمون له المؤسسات والصروح الربوية الضخمة ويضعون له التشريعات المختلفة التي تبيحه وتحميه.

قال الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله: "نُكفّر من أشرك بالله، بعد ما نبين له الحجة على بطلان الشرك، وكذلك نكفر من حسَّن الشرك للناس، وأقام الشبه الباطلة على إباحته، وكذلك من قام بسيفه، دون مشاهد الشرك، وقاتل بسيفه دونها، وأنكر وقاتل من يسعى في إزالتها" الرسائل الشخصية.

2– معاونة الكفار على المسلمين، بل الدخول معهم في تحالفات ضد المسلمين: (مكافحة الإرهاب)، والله تعالى يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:51].

قال ابن حزم رحمه الله في (**المحلى**): "صح أن قوله تعالى"وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم"إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين".

وقال ﷺ: "حليف القوم منهم" رواه الطبراني وصححه الألباني.

وهو مفسر لقوله تعالى: "وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ" فإن القرآن والسنة يصدقان بعضهما البعض.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر:11].

فتأمل كيف كفّر الله من وعد المشركين ولو وعدا كاذبا بنصرتهم على المسلمين، وجعله من إخوان المشركين، فكيف بمن عقد معهم اتفاقيّات النصرة والمظاهرة على الموحدين وظاهرهم عليهم فعلاً بالمعلومات الأمنية وبالمال والتدريب والسلاح وبالملاحقة والقتل أو الحبس والمحاكمة والتسليم؟!

3-4- (تحريم وبغض والامتناع) عن بعض شرائع الإسلام الظاهرة -كالجهاد في سبيل الله- وسجن القائمين بها وتعذيبهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (8) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (9) ﴾ [مُحَمَّد].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين" السياسة الشرعية صـ (132).

وقال رحمه الله في (المجموع 28/544-545): "فإنَّ الله يقول في القرآن:"وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ" (الأنفال: من الآية 39)، والدين هو الطاعة، فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله... وقد اتفق علماء المسلمين على أنَّ الطائفة الممتنعة إذا امتنعت عن بعض واجبات الإسلام الظاهرة المتواترة فإنَّه يجب قتالها، إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة، أو صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق، أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة، أو عن تحريم الفواحش، أو الخمر، أو نكاح ذوات المحارم، أو عن استحلال النفوس والأموال بغير حق، أو الربا، أو الميسر، أو الجهاد للكفار، أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب، ونحو ذلك من شرائع الإسلام، فإنهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله" اهـ.

قال شيخ المجاهدين أسامة رحمه الله: "فإن أمريكا وأوروبا تعتبران الجماعات المجاهدة في فلسطين والشيشان والعراق وأفغانستان جماعات إرهابية، فكيف يمكن الحوار والتفاهم مع هؤلاء بغير السلاح؟! وإن حكام منطقتنا يعتبرون أمريكا وأوروبا أصدقاء وحلفاء ويعتبرون الجماعات المجاهدة ضد الصليبيين في العراق وأفغانستان جماعات إرهابية أيضاً، فكيف يمكن التفاهم مع هؤلاء أيضاً بغير سلاح؟! هؤلاء وهؤلاء الذين ينكرون علينا حقنا في الدفاع عن ديننا وأنفسنا؛ حاصل كلامهم جميعا، أن نخضع ولا نجاهد ونرضى بالعبودية لهم وهذا محال بإذن الله" اهـ.

و(**تحليل) ما حرم الله كالربا والضرائب والزنا والخمور، وذلك بإعطاء التصاريح لها وتقنينها وحمايتها بقوة النظام والقانون،** وقد وصف الله المشركين بأنهم ﴿وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في (الفتاوى 367/3): "والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما سُئِل عن قتال التتار مع نُطقهم بالشهادتين وزعمهم باتباعهم أصل الإسلام: "... كل طائفة ممتنعة عن الالتزام بشرائع الإسلام الظاهرة من هؤلاء القوم أو غيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه كالصلاة، كما قاتل أبو بكر والصحابة مانعي الزكاة، وعلى هذا اتفق الفقهاء بعدهم، فأيّما طائفة امتنعت عن الصلوات المفروضات أو الصيام أو الحج أو عن التزام جهاد الكفار... فإن الطائفة الممتنعة تُقَاتَل عليها وإن كانت مقرّة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء، وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة بل هم خارجون عن الإسلام" أهـ الفتاوى 503/28.

وقال فيهم أيضاً (546/28): "والتتار وأشباههم أعظم خروجاً عن شريعة الإسلام من مانعي الزكاة والخوارج من أهل الطائف الذين امتنعوا عن ترك الربا، فمن شكَّ في قتالهم فهو أجهل الناس بدين الإسلام، وحيث وجب قتالهم قوتلوا وإن كان فيهم المكره باتفاق المسلمين" اهـ.

وقال رحمه الله: "وَإِذَا كَانَ السَّلَفُ قَدْ سَمَّوْا مَانِعِي الزَّكَاةِ مُرْتَدِّينَ– مَعَ كَوْنِهِمْ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَلَمْ يَكُونُوا يُقَاتِلُونَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ– فَكَيْفَ بِمَنْ صَارَ مَعَ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَاتِلًا لِلْمُسْلِمِينَ" الفتاوى الكبرى:548/2.

قال الإمام أبو بكر الجصاص الحنفي رحمه الله: "... فالمقيم على أكل الربا إن كان مستحلا له فهو كافر، وإن كان ممتنعا بجماعة تعضده سار فيهم الإمام بسيرته في أهل الردة إن كانوا قبل ذلك من جملة أهل الملة، وإن اعترفوا بتحريمه وفعلوه غير مستحلين له قاتلهم الإمام إن كانوا ممتنعين حتى يتوبوا، وإن لم يكونوا ممتنعين ردعهم عن ذلك بالضرب والحبس حتى ينتهوا" (أحكام القرآن للجصاص1 / 572).

فالامتناع عن فعل الواجبات الظاهرة المتواترة كالحكم بالكتاب والسنة، أو الامتناع عن تحريم المحرمات القطعية كالخمر أو الربا – والاجتماع على ذلك ومقاتلة على ذلك، كل ذلك يدل على أنهم لم يكنوا في الباطن مقرين بالوجوب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولا يتصور في العادة أن رجلاً يكون مؤمناً بقلبه، مقراً بأن الله أوجب عليه الصلاة، ملتزماً لشريعة النبي صلى الله

عليه وسلم وما جاء به، يأمره ولي الأمر بالصلاة فيمتنع، حتى يقتل، ويكون مع ذلك مؤمناً في الباطن قط لا يكون إلا كافراً، ولو قال: أنا مقر بوجوبها غير أني لا أفعلها كان هذا القول مع هذه الحال كذباً منه" مجموع الفتاوى (7: 615)

5- التحاكم إلى قوانين المحكمة الدولية ومجلس الأمن وحقوق الإنسان، قال تعالى: ﴿ألم ترَ إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾ [النساء: 60].

فاعتبر سبحانه وتعالى إيمانهم زعماً وكذباً لا حقيقة له في القلب ولا وجود، وبرهان ذلك وعلامته أنهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت – في أمر من أمور الدين أو الدنيا – رغم أنهم أمروا بالوحي أن يكفروا به ويتبرؤوا منه!

قال ابن القيم رحمه الله: "من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ فقد حكَّم الطاغوت وتحاكم إليه" اهـ.

قال الشوكاني رحمه الله شارحا بعض أحوال أهل عصره وتحاكمهم إلى الطاغوت في أمورهم وكفرهم وخروجهم عن الإسلام بذلك، قال رحمه الله: "إنهم يحكمون ويتحاكمون إلى من يعرف الأحكام الطاغوتية في جميع الأمور التي تنوبهم وتعرض لهم من غير إنكار ولا حياء من الله ولا من عباده، ولا يخافون من أحد، بل قد يحكمون بذلك من يقدرون على الوصول إليهم من الرعايا ومن كان قريبا منهم، وهذا الأمر معلوم لكل أحد من الناس لا يقدر أحد على إنكاره ودفعه وهو أشهر من نار على علم، ولا شك ولا ريب أن هذا كفر بالله سبحانه وتعالى وبشريعته التي أمر الله بها على لسان رسوله واختارها لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله، بل كفروا بجميع الشرائع من لدن آدم عليه السلام إلى الآن، وهؤلاء جهادهم واجب وقتالهم متعين حتى يقبلوا أحكام الإسلام ويذعنوا لها ويحكموا بينهم بالشريعة المطهرة ويخرجوا من جميع ماهم فيه من الطواغيت الشيطانية" انتهى مختصرا من مجموعة الرسائل السلفية للشوكاني.

قال شيخ المجاهدين أسامة رحمه الله: "إن الصليبية العالمية مع البوذية الوثنية هم أصحاب المقاعد الخمسة الدائمة، وهم أصحاب ما يسمى بامتياز حق"الفيتو"في ما يسمى بـ (مجلس الأمن)، فأمريكا

وبريطانيا يمثلون النصارى البروتستانت، وروسيا تمثل النصارى الأرثوذكس، وفرنسا تمثل النصارى الكاثوليك، والصين تمثل البوذيين والوثنيين في العالم.

وأما العالم الإسلامي المتمثل بسبع وخمسين دولة ويشكلون خمس أهل الأرض، وهم أكثر من ربع دول الأمم المتحدة، وإن ولاية واحدة من ولايات إحدى الدول الإسلامية عدد سكانها أكثر من عدد سكان فرنسا أو بريطانيا - كولاية البنجاب في باكستان - بل إن ولاية واحدةً من إحدى الدول الإسلامية مساحتها أكبر من مساحة بريطانيا ومقاربة لمساحة فرنسا - كولاية دارفور في السودان - ومع ذلك فلا مقعد لهم في مجلس الأمن.

وأنا هنا لا أطالب بذلك فذلك ظلم وإنما أصف واقع الحال، فتلك هيئة كفرية يكفر من رضي بقوانينها وهي أداة لتنفيذ القرارات الصليبية الصهيونية، ومنها قرارات الحروب ضدنا وتقسيم واحتلال أرضنا. إنها حرب صليبية صهيونية ضد المسلمين".

فإن قيل: ماذا يفيدنا تكفير الحكام وعدم تكفيرهم؟!

قلنا: لا بد من أن نحكم بما أنزل الله فيهم، ونشير إليهم بالحكم الذي أشار الله إليهم فيه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:44].

وعدم تكفيرهم يعتبر من كتمان العلم الذي أمرنا ببيانه، وبخاصة عندما تتأكد الضرورة للبيان وإظهار الحق، وكاتم العلم في هذه الحالة –رهبة أو رغبة– يطاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (174) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: 174-175].

ثم إنّ المرء حين يعتقد كفر هذا الحاكم، ثم جمع هذا الحاكم حوله طائفة وجماعة تدافع عن هذا الكفر وتحميه بالشّوكة والسّلاح، فإنّ الواجب على المسلم أولاً أن يعلن براءته من هذا الحاكم وجنده؛ لأنّه من أقسام الطاغوت التي أمرنا الله باجتنابها، ولذلك فقد قال العلماء إنه يجب على كل مسلم معرفة حال الحاكم، انظر (المستصفى) لأبي حامد الغزالي، ج 2 /390.

ثمّ هناك حُكم شرعيّ عملي معلّق بهذا التصوّر، وهو أن الحاكم إذا كفر وجب الخروج عليه بالإجماع، ولا يجوز للمسلمين أن يقبلوا به، أو يطيعوه، بل عليهم أن يسعوا بكلّ جهودهم وطاقتهم

لإسقاطه واستبداله، فالكفر بهؤلاء الطواغيت (طواغيت الحكم) مسألة مهمّة يجب أن ينظر إليها بعين الأهمّية، وخاصّة حين يكون كفره متعدّياً إلى غيره كما هو واقع الآن، فإنّ كفر الحاكم ليس مقصوراً عليه في مسألة اعتقادية فردية، بل هو في مسألة متعدِّية، وهي إجبار الناس على الدخول في أحكام المشركين، وإجبارهم على التّقاضي إلى الطّاغوت ثمّ إنّ السّكوت على هذا الأمر أوقع الناس في بلاءٍ عظيم شديد، وهو أنّ هؤلاء الحكّام فرضوا من الأنظمة والقوانين الكافرة وأجبروا النّاس الاحتكام إليها، ثمّ عَمِلوا بكلِّ جهودهم على تسهيل خروج الناس من دين الله تعالى، فإنّهم أجبروا النّاس على الكفر والعلمانية والديمقراطية والدخول في موالاتهم–بالترغيب والترهيب–فخلافنا مع الحكام ليس خلافا فرعيا يمكن حله.. ولكننا نتحدث عن رأس الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّد رسول الله.. فهؤلاء الحكام قد نقضوها من أساسها بموالاتهم للكفار وبتشريعهم للقوانين الوضعية واحتكامهم لقوانين الأمم المتحدة الملحدة.. فولايتهم قد سقطت شرعا منذ زمن بعيد, فلا سبيل للبقاء تحتها... وانعزال الحاكم عن ولايته يحصل بمجرد طروء الكفر عليه، بمعنى أن صفة الولاية الشرعية تنتزع منه مباشرة بمجرد اتصافه بالكفر البواح وتلبسه به، ومن آثار ذلك الانعزال أن لا يبقى في أعناق الناس شيءٌ من حقوق الولاة عليهم، فلا ولاية، ولا بيعة، ولا سمع ولا طاعة، ولا يمضي له عقد، ولا يُلزِم الناسَ بعهدٍ، فيكون في وادٍ والناس في واد، فيتعامل المسلمون فيما بينهم وكأنه معدومٌ، وعليه فوجود الشوكة والقوة والتمكين وتقادم العهد وتسيير الأمور واستقرار الأحوال وبسط اليد وإدارة البلاد من قِبل الحاكم الكافر لا يجعله بذلك والياً شرعياً. والنصوص الشرعية ذاتها قد دلت دلالات قطعية على وجوب عدم طاعة الكفار وأئمتهم في شيء كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب:1].

وقال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان:24].

وقال: ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 149]
وقال: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾ [النساء:141].

وغيرها كثير من النصوص الشرعية التي تحض على اجتناب الكفار وعدم طاعتهم أو الركون إليهم واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين.

فإن قيل: هؤلاء الحكام عندهم عذر الجهل والتأويل وعذر الإكراه، فلا بد من إقامة الحجة عليهم قبل تكفيرهم! قلنا: **أولا**: أما الاعتذار للطواغيت بأنهم مكرهون على الحكم بغير ما أنزل الله من قبل أمريكا وغيرها؛ فاعتذار ساقط لا ينبغي لطالب العلم إضاعة الوقت في الوقوف عنده..

لماذا؟! لأن من العجيب أننا لم نسمع من أولئك الطواغيت المشرّعين مع الله المستخفّين بالله وبأحكامه أنهم مكرهون على ذلك! بل نجدهم يفخرون بالديمقراطية والعلمانية ويتباهون بالمجالس التشريعية الشركية ويجعلونها رمز العدالة والحضارة! وإنما نسمع تلك الدعاوى والتزييف والتبرير المستميت لأولئك الطواغيت ممن نذروا أنفسهم للدفاع عنهم ممن ينتسبون إلى العلم الشرعي ممن خذلوا الحق وخذلوا شرع الله ونصروا الطواغيت وأنظمتهم الشركية ووقفوا معهم في خندقهم وتحت رايتهم ليحاربوا أهل التوحيد الصادقين! فالإكراه وكذا دعوى عذرهم بالجهل؛ أعذار وأوصاف لا يرضى الطواغيت أصلا أن يوصفوا بها... بل إنهم يعاقبون ويسجنون من وصفهم بالتبعية والعمالة لأمريكا، وكذا يعتبرون وصفهم بالجهل ونحوه مسبة وإطالة لسان يعاقب عليها قانونهم الكافر!...

ثم مع هذا يأتي بعض السفهاء الذين يتعامون عن الواقع ليجادلوا ويدفعوا عنهم بهذه الأعذار التي لا يسلمون هم بها ولا يرتضونها بل يعدونها مسبة ويعاقبون عليها!! فالواجب أن تؤخذ أقاويلهم هم في ذلك، لا أقاويل المجادلين عنهم لأن المرء أدرى الناس بنفسه التي بين جنبيه!! ثم إن طالب العلم المميز الذي يعرف ما ذكره العلماء في حد الإكراه وشروطه كي يقبل ويعتبر كمانع من التكفير؛ يعرف أن واقع القوم لا يمت إلى الإكراه بصلة.

ومن تلك الشروط: (أن يكون المكرَه عاجزا عن الدفع عن نفسه ولو بالفرار) فمن ذا الذي أجبر هؤلاء الطواغيت على تقلد الملك حين تقلدوه؟ فكل أحد يعلم أنهم بذلوا كل ما يملكون من أساليب الغدر والخديعة والخيانة والقتل والاضطهاد لشعوبهم بل ولأقاربهم وآبائهم وإخوانهم في سبيل الوصول إلى سدة الحكم واعتلاء كرسيه! فبدهي أنه لم يجبرهم على ذلك أحد أو يكرههم، بل إن حكمهم هو الحكم الجبري الذي أجبروا الناس فيه على الولاء لهم وأكرهوهم على الدخول في عبادتهم والانقياد لقوانينهم.

ثم لو أن ذلك كان فعلا وأنهم قد أجبروا على تقلد الحكم في بلادنا – وهو غير صحيح – فمن ذا الذي أجبرهم على البقاء في كراسي الحكم لو كانوا فعلا مكرهين على تعطيل شرع الله كل هذه

المدد الطوال؟ ومن ذا الذي يجبرهم على احتكار الملك وعدم التخلي عنه مدى حياتهم، بل وتوريثه لذراريهم وذراري ذراريهم!! ومن الشروط التي ذكرها العلماء أيضا لصحة الاكراه؛ عدم تمادي المكرَه بأن يفعل زيادة عما طلب منه.. وهؤلاء الطواغيت لو كانوا مكرهين فعلا على تعطيل شرع الله! فمن ذا الذي أكرههم على حرب دين الله؟! ومن ذا الذي أكرههم على حرب أوليائه؟! ومن ذا الذي أكرههم على الاستهزاء بدين الله والترخيص للمستهزئين؟! ومن ذا الذي أكرههم على إباحة الردة والكفر وحراسته؟! ومن ذا الذي أكرههم على أن يجعلوا من أنفسهم مشرعين وآلهة تعبد من دون الله؟! ومن ذا الذي أكرههم على ابتغاء الديمقراطية دينا؟ ومن... ومن... ومن؟!

ثانيا: فهؤلاء الحكام مرتدون كفار طواغيت، ولا يتوقف تكفيرهم وقتالهم على شروط التكفير وموانعه والاستتابة ونحوها–حتى لو تنزلنا جدلا بذلك–فالصحابة لم يتوقفوا عن تكفير الممتنعين بهذه الحجة في حروب الردة، لأنهم طائفة ممتنعة.

قال الإمام الرازي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾... إلى قوله:... ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء:65].

وهذا نص في تكفير من لم يرض بحكم الرسول عليه الصلاة والسلام".

الثالث: قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:63].

وهذا يدل على أن مخالفته معصية عظيمة، وفي هذه الآيات دلائل على أن من رد شيئا من أوامر اللّٰه أو أوامر الرسول عليه الصلاة والسلام فهو خارج عن الإسلام، سواء رده من جهة الشك أو من جهة التمرد، وذلك يوجب صحة ما ذهبت الصحابة اليه من الحكم بارتداد مانعي الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وَإِذَا كَانَ السَّلَفُ قَدْ سَمَّوْا مَانِعِي الزَّكَاةِ مُرْتَدِّينَ– مَعَ كَوْنِهِمْ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَلَمْ يَكُونُوا يُقَاتِلُونَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ– فَكَيْفَ بِمَنْ صَارَ مَعَ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَاتِلًا لِلْمُسْلِمِينَ" الفتاوى الكبرى:548/2.

وقال رحمه الله في (الصارم المسلول) ص 322: "المرتد لو امتنع بأن يلحق بدار الحرب، أو بأن يكون المرتدون ذوي شوكة يمتنعون بها عن حكم الإسلام، فإنه يقتل قبل الاستتابة بلا تردد" أهـ.

وقال أيضاً فيه ص325 –326: "على أن الممتنع لا يستتاب وإنما يستتاب المقدور عليه" أهـ.

أما الإكراه فلا يُتصور من الطائفة الممتنعة ولم يجعله الله عذرا في الكفر: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217].

فإن قيل: هؤلاء الحكام يخشون من تطبيق الشريعة حفاظا على شعوبهم من بطش الغرب الصليبي بهم!

قلنا: هذا هو نفس العذر الذي احتج به مشركو مكة! ولم يعذرهم أحكم الحاكمين قال تعالى: "وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون"!

قال القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَقالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا﴾ هذا قول مشركي مكة، قال ابن عباس: قائل ذلك من قريش الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف القرشي، قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أن قولك حق، ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك، ونؤمن بك، مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا– يعنى مكة– لاجتماعهم على خلافنا، ولا طاقة لنا بهم، وكان هذا من تعللاتهم، فأجاب الله تعالى عما اعتل به فقال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً﴾ أي ذا أمن، وذلك أن العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضا، وأهل مكة آمنون حيث كانوا بحرمة الحرم، فأخبر أنه قد أمنهم بحرمة البيت، ومنع عنهم عدوهم، فلا يخافون أن تستحل العرب حرمة في قتالهم، والتخطف: الانتزاع بسرعة، قال يحيي بن سلام يقول: كنتم آمنين في حرمي، تأكلون رزقي، وتعبدون غيري، أفتخافون إذا عبدتموني وآمنتم بي؟!..﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعقلون، أي هم غافلون عن الاستدلال، وأن من رزقهم وأمنهم فيما مضى حال كفرهم يرزقهم لو أسلموا، ويمنع الكفار عنهم في إسلامهم" اهـ.

وهذا هرقل ضن بملكه فلم يعذر بالإكراه محافظة على ملكه، فإن هرقل ملك الروم لما بلغته رسالة النبي عليه الصلاة والسلام يدعوه إلى الإسلام، أراد أن يُسلم، ولكنه خاف من قومه أن يقتلوه كما قتلوا غيره ممن أسلم من أساقفة النصارى، فأراد أن يختبرهم فلم يوافقوه فلم يُسلم، وحديثه متفق عليه،

وفي رواية البخاري "ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حِمْص، فلم يَرِمْ حمص حتى أتاه كتابٌ من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي عليه الصلاة والسلام وأنه نبيٌّ، فأذِن هرقل لعظماء الروم في دَسْكرةٍ له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلِّقت، ثم اطّلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرُشْد وأن يثبُت مُلككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حَيْصة حُمُر الوَحْش إلى الأبواب فوجدوها قد غلّقت، فلما رأى هرقل نَفْرتهم وأيس من الإيمان قال: رُدّوهم عَلَيّ، وقال: إني قلت مقالتي آنفا اختبر بها شِدّتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل".

وقصة قتلهم لأسقفهم لما أعلن إسلامه ذكرها ابن حجر في شرحه لهذا الحديث، وقال ابن حجر عن هرقل: "وكان يحب أن يطيعوه فيستمر مُلكه ويسلم ويسلموا بإسلامهم، فما أيس من الإيمان إلا بالشرط الذي أراده، وإلا فقد كان قادراً على أن يفر عنهم ويترك مُلكه رغبة فيما عند الله، والله الموفق" اهـ.

وقال حمد بن عتيق (سبيل النجاة والفكاك) ص: 89: "اعلم أن إظهار الموافقة للمشركين له ثلاث حالات.... ثم قال:"الوجه الثاني؛ أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن وهو ليس في سلطانهم، وإنما حمله على ذلك إما طمعاً في رئاسة أو مال أو مشحة بوطن أو عيال أو خوف مما يحدث في المآل؛ فإنه في هذه الحال يكون مرتداً، ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن"اهـ.

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:51] قال تعالى بعد الآية السابقة مباشرة: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ فلم يعذرهم الله... وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ [النساء:139].

قال ابن جرير رحمه الله (329/3):" يقول الله لنبيه: يا محمد "بشر المنافقين" الذين يتخذون أهل الكفر بي والإلحاد في ديني أولياء؛ يعني: أنصاراً وأخلاء من دون المؤمنين؛ يعني: المؤمنين، "أيبتغون عندهم العزة"، يقول: أيطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بي؟! "فإن العزة لله جميعا" يقول: فإن الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاء العزة عندهم هم الأذلاء

الأقلاء، فهلا اتخذوا الأولياء من المؤمنين فيلتمسوا العزة والمنعة والنصرة من عند الله الذي له العزة والمنعة الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء فيعزهم ويمنعهم".

ومثل هذه الآية: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر:11].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله (الدرر 8 / 138):"فإذا كان من وعد المشركين في (السر) بالدخول معهم ونصرهم والخروج معهم إن جلوا نفاقاً وكفراً وإن كان كذباً، فكيف بمن أظهر ذلك صادقاً؟!".

فمن ملك فعليه الحكم بشريعة الله وحده لا بحكم الطاغوت فإن عجز فليتنح! قال الحسن رحمه الله:"أخذ الله على الحكام ألا يتبعوا الهوى ولا يخشوا الناس قال تعالى: "فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون""رواه البخاري.

فأبطل الله عذر الخوف وخشية الناس في هذا المقام بقوله ﴿فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ﴾.

وإذا كان الحكم بغير ما أنزل الله كفراً أكبر كما تقدم بسطه، فالكفر لا يترخص فيه بالخوف مالم يقع إكراه ملجيء، وهذا غير متصور في حق الحكام؛ لأنهم يفعلون ما يفعلون باختيارهم، وغاية أحدهم أن يخلع نفسه من الحكم ويتخلى عن الملك إن عجز عن إقامة حكم الله فهذا خير له من أن يظل في مُلكه مقيماً على الكفر.

فإن قيل: هل الخلاف في تكفير الحكام هو خلاف سائغ؟ بمعنى أعم: متى يمكن القول بأن هذا خلاف معتبر وهذا خلاف غير معتبر في الموقف من الحكام والأنظمة المعاصرة؟

قلنا: نحترم المخالف لنا في تكفير الطواغيت إن كان خلافه علميا لا عمليا! ونصبر على ضعف علمه في الواقع والشرع وعدم تكفيره لهم حتى يتجاوز شبهاته، ونتواصل معه لأجل ذلك ما دام عدم تكفيره لهم لم يقلبه إلى جندي من جنودهم ولا صيّره حذاء من أحذيتهم ولم ينقلب إلى عدو للمجاهدين المكفرين للطواغيت... فإن فعل ذلك فقد ظاهر الكفار على المسلمين ولا مسوغ لهذا في الشرع ولا في العقل، فحتى لو أشكل عليه كفرهم فإن تحكيمهم للقوانين وانحيازهم لأعداء الملة

وحربهم لأنصار الشريعة واضح لا إشكال فيه، فأي عذر يبقى لمن يناصرهم – مع وضوح حالهم هذا – على أنصار الدين وأي اعتبار لخلاف يصل بصاحبه ويرتكس به إلى هذا الحد؟!

أما إذا أقيمت الحجة وأخبر بالآيات الصريحة مثل:" فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى"وإذا قلت له: الله هو المشرّع والمطاع الأوحد وهذه قاعدة عماد الأمر كله"لا إله إلا الله"والسلطة التشريعية إنما هي كفر بالله، كان ردّه: تريدون أن نكفر الناس جميعا!!!

فنقول: من لا يكفر بالطاغوت بمعنى أنه يأبى البراءة من عبادته وكفره وقوانينه، أو أنه يأبى البراءة منه فيتولاه، ولا يرفع بكلام الله وكلام رسوله رأسا؛ ليس بمؤمن ولا مسلم وإن صلى وصام وحج واعتمر، ولا تنفعه أخلاقه الحسنة؛ لأن شرط قبول ذلك كله: التوحيد المتضمن لعبادة الله وحده والكفر بكل معبود ومتبوع سواه.

وإليك أخيراً هذه الكلمات لشيخ التوحيد مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله عسى الله أن ينفعك بها، حيث يقول:"فالله الله يا أخوتي تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره وأسه ورأسه شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها، وأحبوها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوهم، وابغضوهم من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم أو قال: ما عليّ منهم أو قال ما كلّفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى، فقد كلفه الله بهم وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم، فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشتركون به شيئا"اهـ عن مجموعة التوحيد، ص 111.

وعلى فرض أن هؤلاء الحكام غير كفار بأعيانهم! فالشرع الحكيم علق وجوب منازعتهم وقتالهم بـ (رؤية الشرك والكفر البواح) وعلى هذا إجماع العلماء، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 39].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:"دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا"متفق عليه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما سُئِل عن قتال التتار مع نُطقهم بالشهادتين وزعمهم باتباعهم أصل الإسلام:"... كل طائفة ممتنعة عن الالتزام بشرائع الإسلام الظاهرة من هؤلاء القوم أو

غيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه كالصلاة، كما قاتل أبو بكر والصحابة مانعي الزكاة، وعلى هذا اتفق الفقهاء بعدهم، فأيّما طائفة امتنعت عن الصلوات المفروضات أو الصيام أو الحج أو عن التزام جهاد الكفار... فإن الطائفة الممتنعة تُقَاتَل عليها وإن كانت مقرّة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء، وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة بل هم خارجون عن الإسلام"اهـ الفتاوى 503/28.

وبعد هذا البيان: فليس من الدين والورع أن نجعل ونصف القتال الدائر بين المجاهدين (الذين يطالبون بشرع الله) وهذه الحكومات وأنصارهم بأنه قتال فتنة يجب اعتزالها أو الصلح بينهما إن أمكن! كما حدث بين الصحابة رضي الله عنهم أو كما حدث بين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وبين مروان بن الحكم!

فالأول هو قتال اجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر، وأما الثاني: فهو قتال بين طائفتين من المؤمنين، عن سعيد بن جبير رحمه الله قال خرج علينا عبد الله بن عمر فرجونا أن يحدثنا حديثا حسنا قال: فبادرنا إليه رجل، فقال يا أبا عبد الرحمن حدثنا عن القتال في الفتنة والله يقول:"وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة"فقال: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك؟ إنما كان مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة وليس كقتالكم على الملك" رواه البخاري.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فالفتن مثل الحروب التي تكون بين ملوك المسلمين وطوائف المسلمين مع أن كل واحدة من الطائفتين ملتزمة لشرائع الإسلام مثل ما كان أهل الجمل وصفين وإنما اقتتلوا لشبه وأمور عرضت" الفتاوى: ج 28/ص551.

أما في موضوعنا فهو من باب: ﴿وَقَاتِلوهُم حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال:39].

قال ابن تيمية رحمه الله: "فكل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة يجب جهادها، حتى يكون الدين كله لله، باتفاق العلماء".

إضاءة: في مقام دعوة الناس ومخاطتهم: لا بد أن تفهم أن نفوس الخلق دقيقة الميزان تبهجها كلمة مارة، أو خفقة حانية، أو وجه بشوش يلاقيه، وتزعجها كلمة جافة أو إعراض وجه مهموم أو

التفاتة خد بعيداً عند اللقاء، فهكذا الإنسان لا يباع قلبه ولا يتأثر بالجبال ولا بالقيود ولا بالأسوار، لكنه يأنف القياد ويوطئ الجناح للكلمة الحسنة والبسمة المشرقة والهدية مهما كان شأنها، فلا تحقرن شيئاً من هذا..

فهذا رسول الله ﷺ وهو حبيب القلوب، يفديه صحبه بأرواحهم، وهو أحب إليهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم، ومع ذلك يراعي خواطر أصحابه حتى ما يؤذيهم بشيء، بل يتودد لصغيرهم سائلاً إياه عن طائره اللاعب به"يا أبا عمير، ما فعل النغير؟!" رقة تذوب لها الجبال، ويتودد لكبيرهم حتى يعرفوا ذلك منه أنه رقيق رفيق ليس بجبار، فعن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما أن أباه مخرمة قال له: يا بني إنه بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقبية فهو يقسمها فاذهب بنا إليه، فذهبنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم في منزله: فقال لي يا بني ادع لي النبي صلى الله عليه وسلم! فأعظمت ذلك فقلت أدعو لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فقال: يا بني إنه ليس بجبار! فدعوته فخرج، وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب فقال: "يا مخرمة هذا خبأناه لك فأعطاه إياه، قال فنظر إليه فقال صلى الله عليه وسلم:"رضي مخرمة"**متفق عليه**.

***طاغوت (النظام الديمقراطي والأحزاب المنضوية تحتها وأعضاء مجلس النواب):**

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:"ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم إلا بنوعين من الفهم: أحدها: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط بها علما.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ في هذا الواقع ثم يطبق أحدهما على الآخر"اه. (إعلام الموقعين لابن القيم ج1/ 87 - 88).

إن علماء السوء والضلالة ومن تابعهم من المثقفين والإعلاميين يصورون للناس مسألة الديمقراطية على أنها مسألة بسيطة: وهي (مسألة اختيار الحاكم فقط)! فما هي حقيقة الديمقراطية إذن التي أمرنا الله بالكفر بها؟!

قال ابن تيمية رحمه الله:"الأسماء ثلاثة أنواع: نوع يعرف حدّه بالشرع كالصلاة، ونوع يعرف حدّه باللغة كالشمس والقمر، ونوع يعرف حدّه بالعرف...".

ولما كان لفظ (الديمقراطية) لم يرد في الشرع، ولا هو مما تعرفه العرب من لغتها، فلا بد لمعرفة معناه وحقيقته من الرجوع إلى عرف أهله الذين وضعوه.

إن أصل لفظ (الديمقراطية) كلمة مشتقة من لفظتين يونانيتين: Demos)) "ديموس": الشعب، و((Kratos" كراتوس": سلطة أو الحكم، ومعناها: (الحكم الذي تكون فيه السلطة للشعب)، وتُطلق على نظام الحكم الذي يكون الشعب فيه رقيباً على أعمال الحكومة بواسطة المجالس النيابية، ويكون لنواب الأمة سلطة إصدار القوانين، وتتم عملية انتقاء القوانين والتشريعات بحسب اختيار الأكثرية لها من أعضاء مجلس النواب... كما يجب علينا معرفة كيف نشأت الديمقراطية وما هي الظروف التي كانت سبباً في ظهورها، وإن نشأة الديمقراطية وما صاحبها من أفكار؛ كانت كرد فعل للطغيان الذي مارسه الملوك ورجال الكنيسة على الناس باسم الدين، فكفر الناس بهذا الدين الذي كان سبب شقائهم واستعبادهم واتخذوه وراءهم ظهرياً، وكان أحد شعارات الثورة الفرنسية (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس).

فهي في أصل نشأتها تمردٌ على سلطان الله لتعطي السلطان كله للإنسان، ليضع نظام حياته وقوانينه بنفسه دون أي قيود، أي؛ أعطت حق التشريع للإنسان.

فهذا يعني أن المألوه – المعبود المطاع – من جهة التشريع هو الإنسان وليس الله جلَّ ثناؤه، وهذا مغاير ومناقض لأصول الدين والتوحيد، يدل على ذلك قوله تعالى:"إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون".

(الدين) في اللغة: (الشرع والقانون والطريقة والمذهب والملة والعادة والتقليد)، فيقولون (ما زال ذلك ديني وديدني) أي دأبي وعادتي. ويقال (دان) إذا اعتاد خيراً أو شراً، وفي الحديث (كانت قريش ومن دان بدينهم) أخرجه البخاري ومسلم.

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف:76].

أي في دينه وشرعه وقانونه. **وعلى هذا فـ (الديمقراطية) دين** قائم على نظم واعتقادات وقوانين، ولهم كتاب مقدس! لا بد أن يعترف ويلتزم بها كل من شارك فيها!

قال شيخ الإسلام رحمه الله:"ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوّغ اتباع غير دين الإسلام، أو اتّباع شريعة غير شريعة مُحَّد ﷺ فهو كافر، وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب" (مجموع الفتاوى:28/ 524).

ومن المعلوم أن (طواغيت الحكم) في العصر الحاضر لم يقفوا عند حد التسويغ لغير شرع الله، بل تجاوزوه إلى حد تحسينه وفرضه على الأمة ومحاربة كل من يتنكب عن التحاكم إليه ويطالبهم بالحكم بما أنزل الله..! وليست الأديان فقط هي النصرانية واليهودية، بل وأيضاً الشيوعية والديمقراطية ونحوها من الملل والمذاهب الأرضية الكافرة... فكما أنه لا يجوز في دين الله أن يكون الإنسان مسلماً نصرانياً! أو مسلماً يهودياً! فكذلك لا يرضى الله أن يكون المرء مسلماً ديمقراطياً! فالإسلام (دين الله) والديمقراطية (دين كفري) "وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ". والذين يقولون نشارك في (الديمقراطية) ونأخذ الحق وندع الباطل ويسمونها (الديمقراطية الإسلامية)! فلا نجعل الحكم والتشريع لغير الله ولا نعطي الحريات المطلقة ولا ندعو للمساواة المطلقة إلى غير ذلك، فيقال لهم: هذا مع استحالته وتعذره في الواقع.. فهو مثل ادعاء أن يكون هناك (يهودية إسلامية)! لا تكفر بمحمد ﷺ بل تؤمن به ولا تقول عزير ابن الله ولا يد الله مغلولة!.. وهكذا لا تأخذ من اليهودية إلا ما يوافق الإسلام!

وعودا على بدء نقول: أن (الديمقراطية) دين قائم على نظم واعتقادات وقوانين، ولهم كتاب مقدس! لا بد أن يعترف ويلتزم بها كل من شارك فيها–سواء كان انتسابا للأحزاب أو مشاركة في الانتخابات– وهي تعتبر في دين الإسلام: طاغوت ينازع الله في (8) خصائص من خصائصه سبحانه (الربوبية والحكم والتشريع والأمر والنهي والتحليل والتحريم والسيادة)، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ:" أَلاَ إِنَّ رَبِّى أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ (أي مسلمين موحدين). وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ (التشريع) وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا"رواه مسلم.

فشياطين الإنس والجن عملت منذ القدم – ولا تزال – على صرف الناس عن التوحيد الخالص، وتأمرهم بعبادة غير الله عز وجل.

فهي تارة تزين لهم عبادة غير الله عز وجل بالركوع والسجود، فإن لم تفلح تزين لهم عبادة غيره تعالى بالاستغاثة والدعاء والطلب، فإن لم تفلح تزين لهم الإشراك عن طريق التوكل والإنابة والخشية، فإن لم تفلح تزين لهم الإشراك والعبودية لغير الله تعالى عن طريق الطاعة والاتباع والانقياد، فإن لم تفلح زينت لهم العبودية لغير الله تعالى عن طريق التحاكم والتحليل والتحريم...وهذا هو المراد من قوله تعالى في الحديث القدسي:"وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا".

***وفي الديمقراطية (20) نوع من أنواع الكفر البواح! ومن كان جاهلا فليعلم! ومن كان نائما فليستيقظ! (وقد أجمع العلماء على أن من قال أو فعل كفرًا يكفر بالحال لانشراح صدره بذلك ما لم يكن مكرهًا؛ لأن الرضا بالكفر كفر، والعزم على الكفر كفرٌ بالحال) كفاية الأخيار: ص 22.** وهي كما يلي:

1-**الإعتراف والرضى بالنظام (الديمقراطي)**، الذي معناه (حكم الشعب للشعب)، أما نحن المسلمين! فالإسلام: (حكم الله للشعب) وهذه المسألة في القرآن الكريم جاءت بشكل صريح لا يحتمل التأويل: قال تعالى: ﴿لا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:88]. وقوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف:40].

وقوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يوسف:67].

وقوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام:57].

وقوله تعالى: ﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾ [الكهف:26].

وقوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:70].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.، فالديمقراطية إذن: نظام يحكم بغير ما أنزل الله! فهو نظام جاهلي لا مكان لمعتقِده ولا لنظامه ولا لشرائعه في دائرة الإسلام.

بل هو نظام كافر بنص القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:44].

فالديمقراطية تنادي بحاكمية الشعوب والجماهير وأن إرادتها من إرادة الله وإذا صوتت الشعوب على شيء فلا مرد له ولا عبرة بما عارضه من كتاب أو سنة! فتكون شركا بهذا الاعتبار؛ لأن الله سمى الحكم بغير ما أنزل شركا فقال سبحانه ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:26].

وفي بعض القراءات ﴿وَلَا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾.

2- الديمقراطية، تقوم على مبدأ (العلمانية): فصل الدين عن الحياة، فليس لها علاقة بالدين، (فما لله لله) وهو فقط العبادة في الصوامع والزوايا، (وما لقيصر فلقيصر)! أي سوى ذلك من مرافق الحياة السياسة والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والفنية والثقافية وغيرها فهي من خصوصيات الشعب.

ولنا أن نسأل: ما الفرق بين قول قريش: يا مُحَمَّد اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة؟! وبين قول العلمانيين لفظاً وحالاً: نعبد الله في المسجد ونطيع غيره في المجالس التشريعية والبرلمان وفي القضاء والتجارة والسياسة؟! وما الفرق بين العلمانيين وبين قوم شعيب عندما قالوا له متهكمين: ﴿يا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنا ما نَشؤُا﴾ [هود:87].

وهم يريدون بالصلاة، الدّين الذي يدين به -كما قال عطاء رحمه الله - يعنون بهذا أن الدين الذي يدين به ويدعوهم إليه هو الذي حمل شعيبا على أن يدعوهم إلى ترك ما كان يعبد آباؤهم من آلهة وإلى ترك التصرف فى أموالهم والتسلط عليها حسب ما يشاءون! فأي دين هذا الذي يخرج الناس عن عبادة ما كان يعبد آباؤهم؟! وأي دين هذا الذي يدخل على الإنسان فيما بينه وبين ما في يديه من مال؟! فلا يدعه يتصرف فيه كما يشاء ويشترى بالأسلوب الذي يرضاه ويبيع بالوجه الذي يعجبه؟!

أما نحن المسلمين! ففي الإسلام: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163) ﴾ [الأنعام].

وعندنا في الإسلام فالذي يعترف بـ (العلمانية): قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:150].

وهذا حكم كل ديمقراطي علماني يفصل الدين عن الدولة والسياسة وشؤون الحياة.. وإن زعم بلسانه – ألف مرة– أنه من المسلمين المؤمنين.

فهؤلاء العلمانيين الذين يقومون بفصل الدين عن الدولة وعن الحياة هم يزعمون أن إدارة الكون شركة بينهم وبين الله! فلله حكم العقائد والعبادات ولهم ما وراء ذلك من جميع المعاملات!! فهم والمشركون الأولون سواء كما حكى الله عنهم: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام:136].

وننبه: أنه من المعلوم أن الشيوعية لاقت من الاعتراض ما لم تلاقه العلمانية! لأن الشيوعية (تكذّب وتجحد بالخبر المنزل)، أما (العلمانية) فهي لا (تكذّب) ولكنها (تبدّل) الشرع المنزل فقط! ولهذا فهي ليست كفرا على مقتضى عقيدة الإرجاء! وقد فطنت الشيوعية للحيلة فصارت تُقدم نفسها للمسلمين باسم (الاشتراكية)، أي (مجرد) نظام بديل عن نظام الإسلام، ولا تكذب ولا تجحد بشيء من الدين! وقد انطلت الحيلة على من أصابتهم لوثة الإرجاء! فجندوا أقلامهم للمجادلة... أما أهل السنة فلا فرق عندهم بين من كذّب ومن بدّل.

قال شيخ الإسلام:"والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق، سواء كان مقبولا خبره المخالف لكتاب الله، أو مطاعا أمره المخالف لأمر الله، هو طاغوت"مجموع الفتاوى، 113/28.

3– الاعتراف بشرعية الطاغوت الحاكم وحكمه ونظامه الفاسد الكافر.. والتعامل معه على أنه حاكم شرعي تجب طاعته.. وبخاصة إن جاء أو فُرض هذا الحاكم عبر التصويت وصناديق الاقتراع ففيه إضفاء الشرعية على هذا النظام، وتحسين صورته القبيحة في أعين الناس، وإطالة أمده وعمره، وبخاصة إن كان هذا المشارك من خواص المسلمين وأعلامهم ممن ينظر إليه عوام الناس على أنه قدوة ومثل يُقتدى به..! فهو بمشاركته هذه يضل ويُضل، ويهلك ويُهلك، ويكون بمثابة شاهد زور في الباطل كما في قوله ﷺ:"يليكم عمال من بعدي يقولون ما يعملون، ويعملون بما يعرفون، وطاعة أولئك طاعة، فتلبثون كذلك دهراً، ثم يليكم عمال من بعدي يقولون ما لا يعلمون، ويعملون ما لا يعرفون، فمن ناصحهم ووازرهم وشد على أعضادهم، فأولئك قد هلكوا وأهلكوا، خالطوهم بأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم "أخرجه الطبراني، السلسلة الصحيحة: (457).

4- تقوم الديمقراطية على النظام الاقتصادي الحر، أو الرأسمالي الحر..! ويدخل في ذلك استحلال الربا، أما نحن المسلمين! ففي الإسلام: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة:275].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ورسوله..﴾ [البقرة:278-279].

وهذه الآيات نزلت في أهل الطائف لما دخلوا الإسلام والتزموا الصلاة والصيام، وكانوا لا يمتنعون عن الربا فبين الله أنهم محاربون له ولرسوله إذا لم ينتهوا عن الربا.. فإذا كان هؤلاء محاربين لله ولرسوله، فكيف بمن يقيمون للربا بنوكاً، ويعطون للتعامل به الشرعية الكاملة؟!

5- الاعتراف بأن للجميع حق التصويت والاختيار- فيمن يحكم العباد والبلاد وإن كان ملحدا- مادام أنه مواطن!- فإن الديمقراطية تقوم على مبدأ المساواة – في الحقوق والواجبات – بين جميع شرائح وأفراد المجتمع بغض النظر عن انتماءاتهم العقدية والدينية، وقد نص (الدستور) اليمني على ذلك: (**المواطنون** متساوون في الحقوق والواجبات) (للمواطن حق الانتخاب والترشيح وإبداء الرأي في الاستفتاء) مع أنه من المعلوم أنه يوجد في البلاد: المسلم والنصراني واليهودي والمكرمي (الباطني) والملحد! ويقولون: (الدين لله والوطن للجميع)، ومعناه أنّ قانون المواطنة لا يفرّق بين الناس باعتبار الدين والاعتقاد، فالمسلم والكافر عندهم سواء والله جعل مَن والى كافراً مثله في الحكم، قال تعالى:"والذين كفروا بعضهم أولياء بعض".

أما نحن المسلمين! ففي الإسلام عندنا: (**المسلمون** سواء في الحقوق والواجبات) والله تعالى يقول: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة:18].

وقال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم: 36-35]. وغيرها من النصوص التي تدل على أن الفريقين لتناقضهما – في الاعتقاد والدين– لا يمكن ولا يجوز أن يستويا، ومن يقول بخلاف ذلك لزمه تكذيب القرآن الكريم، وهذا عين الكفر البواح.

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:"أن من لم يفرق بين اليهود والنصارى وسائر الكفرة وبين المسلمين إلا بالوطن، وجعل أحكامهم واحدة فهو كافر".

وقد جعل الإمام الماوردي في (**الأحكام السلطانية**) حق اختيار الحاكم المسلم مشروطًا بثلاثة شروط هي: أولاً: العدالة الجامعة لشروطها، وهذا الشرط منتف في الكافر.

ثانيًا: العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها، وهذا أيضًا منتف بحق الكافر.

ثالثًا: الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح وبتدبير المصالح أقوم وأعرف.

وبعبارة مختصرة يشترط في حق من ينتخب الحاكم المسلم مثل ما يشترط في حق الحاكم نفسه، من كونه مسلمًا عاقلاً مكلفًا، وعلى هذا فلا يجوز للمسلمين أخذ رأي غير المسلمين في مسألة انتخاب الخليفة المسلم ولا في مسألة إدارة الشئون العامة في الأمة.

6- الاعتراف بشرعية الأحزاب بكل اتجاهاتها الكفرية والعلمانية، وأن لها الحق في الوجود، وفي نشر باطلها، وفسادها وكفرها في البلاد وبين العباد، كالحزب الاشتراكي.. الحزب البعثي.. الحزب الناصري... الحزب العلماني..

وقد نصت المادة (5) في الدستور على التالي: (يقوم النظام السياسي للجمهورية على التعددية السياسية والحزبية وذلك بهدف تداول السلطة سلمياً، وينظم القانون الأحكام والإجراءات الخاصة بتكوين التنظيمات والأحزاب السياسية وممارسة النشاط السياسي).

وقد نصت المادة (5) من قانون الأحزاب: (لليمنيين حق تكوين الأحزاب والتنظيمات السياسية، ولهم حق الانتماء الطوعي لأي حزب أو تنظيم سياسي طبقا للشرعية الدستورية وأحكام هذا القانون).

وهذا مغاير ومناقض لكثير من النصوص الشرعية التي تثبت أن الأصل في التعامل مع المنكر والكفر إنكاره وتغييره، وليس إقراره والاعتراف بشرعيته.

أما نحن المسلمين! ففي الإسلام: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:39].

وتمكين الكفار من إظهار كفرهم والدعوة إليه بحرية تامة يجعل الدين له ولغيره وهذا مناقض لمبدأ الجهاد وغايته.

قال ابن تيمية رحمه الله:"فكل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة يجب جهادها، حتى يكون الدين كله لله، باتفاق العلماء".

وقال ﷺ - كما في صحيح مسلم-:" من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ".

أي لا مناص من إنكار المنكر وتغييره ولو في القلب عند حصول العجز عن إنكاره باليد أو اللسان، أما أن يمتد التعامل مع المنكر إلى حد الرضى به أو المطالبة فهو عين الكفر البواح، وهذا الذي يدل عليه قوله ﷺ:"فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل "أي ليس وراء إنكار القلب سوى الرضى، والرضى بالكفر كفر ينفي مطلق الإيمان عن صاحبه.

ورحم الله سيد قطب حيث يقول:"ومجرد الاعتراف بشرعية منهج أو وضعٍ أو حكم من صنع غير الله، هو بذاته خروج من دائرة الإسلام لله، فالإسلام لله هو توحيد الدينونة له دون سواه".

فالديمقراطية تقول وبكل وقاحة: دع الأحزاب تفعل ما تشاء، دعهم يمارسوا تدمير المجتمعات بما يشاؤون من المفاسد والفتن، والكفر والشرك، فهم أحرار، وحريتهم مقدسة، ليس لأحد أن يمنعهم أو يسلبهم حريتهم في ذلك!

7-الرضى بالنتيجة النهائية لمن سيحكم العباد والبلاد-وإن كان ملحدا-.

أما نحن المسلمين! ففي الإسلام: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141].

وقال ﷺ:" الإسلام يعلو ولا يعلى "رواه الدارقطني وحسنه الألباني.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء:71].

قال البغوي رحمه الله:"عن سعيد بن المسيّب رحمه الله قال: كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر) قال الشنقيطي رحمه الله: "أَيْ نَدْعُو كُلَّ قَوْمٍ بِمَنْ يَأْتَمُّونَ بِهِ، فَأَهْلُ الْإِيمَانِ أَئِمَّتُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وَأَهْلُ الْكُفْرِ أَئِمَّتُهُمْ سَادَتُهُمْ وَكُبَرَاؤُهُمْ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَفَرَةِ;كَمَا قَالَ تَعَالَى:﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾".

قال ابن حجر رحمه الله في (فتح الباري): "ينعزل-أي الحاكم- بالكفر إجماعا، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك، فمن قوي على ذلك فله الثواب ومن داهن فعليه الإثم ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض".

قال القاضي عياض رحمه الله في (إكمال المعلم): "لا خلاف بين المسلمين أنه لا تنعقد الإمامة للكافر ولا تستديم له إذا طرأ عليه".

8- تقوم الديمقراطية على مبدأ حرية التدين والاعتقاد، فللمرء — في ظل الأنظمة الديمقراطية — أن يعتقد ما يشاء، ويتدين بالدين الذي يشاء، ويرتد إلى أي دين وقت ما يشاء، وإن كان هذا الارتداد مؤداه إلى الارتداد عن دين الله تعالى أو إلى الإلحاد! فالديمقراطية فتحت الباب للرافضة والقبوريين والعلمانيين وغيرهم من أصحاب المناهج الهدامة أن يرتعوا ويدعوا إلى باطلهم بدون خوف أو وجل! بل يتمتعوا بحماية النظام والقانون!! أما نحن المسلمين! ففي الإسلام: "من بدل دينه فاقتلوه" رواه البخاري. وليس فاتركوه!

9- تقوم الديمقراطية على مبدأ حرية التعبير، أيّاً كان هذا التعبير، ولو كان مفاده طعناً وسباً للذات الإلهية، وكتبه ورسله، وسخرية واستهزاء بشريعة الإسلام، إذ لا يوجد في الديمقراطية شيء مقدس يحرم الخوض فيه! أما نحن المسلمين!

ففي الإسلام: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:66].

10- تغييب وإلغاء مبدأ الجهاد في سبيل الله: فالديمقراطية والعملية النيابية تُطرح كبديل عن طريق الجهاد في سبيل الله، وإن من مبادئ العمل الديمقراطي: (الاتفاق والرضى بمبدأ تعاقب الحكومات وإحداث التغيير عن طريق تداول السلطة عبر صناديق الاقتراع والانتخابات) - حتى وإن كانت الحكومة علمانية أو ملحدة- وهذا مناقض لقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ (إزالة الطاغوت) ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (إقامة حكم الله في الأرض) ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 39].

ولقول النبي ﷺ "وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا" متفق عليه.

ومناقض لمبدأ الجهاد في سبيل الله الذي نصت عليه مئات النصوص الشرعية من الكتاب والسنة؛ لذا فإن القائلين بالديمقراطية من أشد الناس محاربة لخيار استخدام القوة أو أي مشروع جهادي هادف.. وهم أول من يقف بوجه أي عمل جهادي على أنه مغاير للخيار الديمقراطي الذي ارتضته الأمة كما زعموا..!! ولذلك فإن من الكلمات التي سمعناها من مشايخ الديمقراطية في حملاتهم الدعائية الانتخابية قولهم للناس: أن طريق الديمقراطية أسهل وأفضل، فهو لا يكلف سوى أن نضع هذه الأوراق في صناديق الاقتراع، وفي اليوم التالي تخرج لنا دولة الإسلام التي نريد! بينما طريق الجهاد هو طريق شاق وصعب، وهو محفوف بالمكاره والمخاطر، والقتل والقتال..! وهذا كلام باطل من الوجهة الشرعية؛ لتضمنه تفضيل سبل الباطل التي شرعها الطاغوت وسنها لعملية التغيير والتناوب على السلطة، على السبيل الشرعي المنصوص عليه في الكتاب والسنة، والذي يكمن في الجهاد في سبيل الله! والأمة التي تغيب مبدأ الجهاد في سبيل الله من عقيدتها وثقافتها، وتربيتها ووسائلها لحقيق بها أن تعيش بين الركام على هامش الحياة والتاريخ، وأن تعيش الذل والهوان والضعف بكل أبعاده ونتائجه، لتكون لقمة سائغة سهلة يطمع بها الأعداء الغزاة متى يشاءون.. وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم" أخرجه أبو داود وصححه الألباني.

11- الشعب هو الذي له كلمة الفصل! أما نحن المسلمين! ففي الإسلام: فالذي له كلمة الفصل: هو كتاب الله وحده: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (12) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (13) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (14) ﴾ [الطارق].

12- عند اختلاف الشعب فيما بينهم فالذي يحكم بينهم هم الأغلبية عبر الاستفتاء والتصويت وعبر صناديق الاقتراع! أما نحن المسلمين! ففي الإسلام: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:10].

بينما الديمقراطية تقول: وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الأغلبية... وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى صناديق الاقتراع! فالحق والعدل في نظر الإسلام: هو ما يوافق الكتاب والسنة قلَّ أنصاره أو كثروا، وما يخالف الكتاب والسنة فهو الباطل ولو اجتمعت عليه أهل الأرض قاطبة.

فالتحاكم إلى الأكثرية من دون الله تعالى، هو ضرب من ضروب الشرك الأكبر؛ لتضمنه إشراك إرادة الأكثرية أو المخلوق مع الله الخالق سبحانه وتعالى في الحكم، كما قال تعالى ﴿ولا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾ [الكهف:26].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:21].

13- لا اعتبار للكتاب والسنة عند التنازع وليس لها تأثير أو تقديس عند الديمقراطية وأحزابها! بل يضربون آيات الله وأحاديث رسول الله ﷺ عرض الحائط! وهذا يعني تعطيل طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وهذا كفر صريح قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:32].

وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أن طاعة الله وطاعة رسله هي الغاية من الخلق وإرسال الرسل كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء:64].

أما نحن المسلمين! ففي الإسلام: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: 59]

قال ابن كثير رحمه الله: "فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى:" إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ"أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم"إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ "فدل على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر".

يا قوم: لن يصح ادعاؤكم أنكم مسلمون حتَّى تعلموا أنكم عبيد لله – جل وعلا- وأنكم مدينون بشرعه كما أنكم مدينون بقدَره، وأن الكتاب والسنَّة هما الحجّة القاطعة والحكم الأعلى وأنهما فوق القانون وفوق الدستور وفوق ما يصنعه البشر من الشرائع والأنظمة..! أليس عجباً أن يكون القرآن في دين الله مهيمناً على جميع الكتب؟! وهي في الأصل منزلة من عند الله، ولا يكون في دينكم مهيمناً على ما تنشئونه من الدساتير والقوانين وهي من صنع أيديكم تغيرون فيها وتبدّلون كما تشاءون؟! أيهيمن القرآن على الكتب السَّماويَّة وتجعلونه أهون من أن يهيمن علي الدساتير والأنظمة الوضعيَّة؟! أتريدون أن تعلو شرائع اليهود والنَّصارى على شرائع الإسلام؟! أتريدون أن

تقدّموا بين يدي الله ورسوله بشرائع الفرنسيين والإنجليز وقد فعلوا بكم وبأمتكم وبدينكم ما تعلمون وما لا تعلمون؟!

14-الاعتراف بـ (الدستور) والتحاكم إليه، وجعل الدستور حاكماً على القرآن والسنة ومهيمناً عليهما.. ففي دين الديمقراطية: ملزمون بأن يتقيدوا في مجموع نشاطهم بدستور الدولة القائم أصلاً على الكفر ومضاهاة شرع الله؛ فهم من جهة ملزمون بالتحاكم إليه، ومن جهة ملزمون بأن يقسموا على احترامه وتقديسه والحفاظ عليه، ومن جهة لا يحق لهم أن يمارسوا أي نشاط أو إصدار أي قانون يتعارض مع الدستور ومبادئه.

أما نحن المسلمين: فالقرآن حاكم على الدستور والسنة ومهيمناً عليهما.. قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [النساء:105].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ [المائدة:48].

فهذا (الدستور) الكفري الجاهلي -التي سبق ذكر بعض مواده الكفرية-، يعتبر في نظر الإسلام: (طاغوت كبير) يجب الكفر به والبراء منه ومن أنصاره وأوليائه وأتباعه؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:60].

فاعتبر سبحانه وتعالى إيمانهم زعماً وكذباً لا حقيقة له في القلب ولا وجود، وبرهان ذلك وعلامته أنهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت – في أمر من أمور الدين أو الدنيا – رغم أنهم أمروا بالوحي أن يكفروا به ويتبرؤوا منه! إن هؤلاء المنافقين إنما يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم..

وإنه إذا كانت أفواههم تردد كلمات الإيمان بالله والولاء لرسوله، فإن قلوبهم منطوية على إيمان غير هذا الإيمان، وسرائرهم منعقدة على ولاء غير هذا الولاء.. إيمان بالجبت وولاء للطاغوت..

قال ابن كثير رحمه الله: "وقوله:"﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحْكَم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما

يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان، الذي وضع لهم (اليَاسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعًا متبعًا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ﷺ فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير، قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عَقل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء).

فإن قيل: هب أن رجلاً علم هذا الحكم، وقال إنه يكفر خمس دقائق حين أداء القَسَم ثم يتوب؟!

فالحواب: إنه إن قال: (إنه سيكفر مدة القسم) كفر بقوله هذا ولو لم يُقسم! إذ لم يختلف العلماء في أن من نوى الكفر في الآجل كَفَر في الحال، فقد ذكر الفقهاء: "ولو قال إن مات ابني تهوَّدت أو تنصرت كَفَر في الحال" (كفاية الأخيار) 123/2.

وما يدريه أنه يعيش حتى يتوب فقد يموت أو يصاب بالجنون في الحال وتفوته التوبة؟! وقد قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران:65].

وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: 54].

أما القول بإمكان الخروج من هذا المأزق بإضافة (في حدود القرآن والسنة)! فهو قول ينقض آخره أوله وأوله آخره! إذ يصبح المعنى: أقسم بالله العظيم أن احترم الكفر والقوانين الكفرية والحاكم الكافر في حدود القرآن والسنة! فهل يقبل هذا الخلط عاقل؟! فضلا عن مسلم؟!

15- الاعتراف بـ (ميثاق وقوانين وقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن والإعلان العالمي لحقوق الإنسان) والتحاكم إليه -التي سبق ذكر بعض موادها الكفرية- وهؤلاء يعتبرون في نظر الإسلام: (طاغوت كبير) يجب الكفر به والبراء منه ومن أنصاره وأوليائه وأتباعه، والفرق بينه وبين

الدستور: أن الدستور (طاغوت محلي)! والآخر (طاغوت عالمي)! ولا شك أن الدساتير (المحلية والعالمية) التي تساس بها الدول وتتحاكم إليها وتتخذها مرجعاً لفض منازعاتها قد وضعها الواضعون بمجرد نظرهم وأهوائهم فصارت فيما بينهم شرعاً متبعاً حتى سمَّوه هم أنفسهم (بالشرعية الدولية)! وأصبحت تلك الشرعية معياراً على الالتزام والتمسك والانقياد لقوانينهم فتراهم يصفون بعض الدول بأنها خارجة عن (الشرعية الدولية) أو مناقضة لـ (الشرعية الدولية) أو مخالفة لـ (الشرعية الدولية) وهلم جرا من الأوصاف التي تدل على أن تلك الشرعية صارت هي الميزان والأصل الذي تُقوَّم به سياسات الدول.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في تعريف (الطاغوت) وما يدخل في مسماه ومعناه، حيث يقول في (الأعلام) 50/1: "الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قومٍ من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، ومن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته".

وقال: "من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ فقد حكَّم الطاغوت وتحاكم إليه" ا-هـ.

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:121].

أخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي رحمه الله أنه سئل عن قوله ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ فقيل تزعم الخوارج أنها في الأمراء! قال: كذبوا إنما أنزلت هذه الآية في المشركين، كانوا يخاصمون أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: أما ما قتل الله فلا تأكلوا منه – يعني الميتة – وأما ما قتلتم أنتم فتأكلون منه! فأنزل الله ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ قال: لئن أكلتم الميتة وأطعتموهم إنكم لمشركون"فجعل سبحانه طاعة الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرّم الله: شركًا به سبحانه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:"قالوا: يا محمّد أما ما قتلتم وذبحتم فتأكلونه! وأما ما قتل ربكم فتحرمونه! فأنزل الله ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في كل ما نهيتكم عنه إنكم إذا لمشركون".

قال سيد رحمه الله:"إن الذين يحكمون على عابد الوثن بالشرك ولا يحكمون على المتحاكم إلى الطاغوت بالشرك ويتحرجون من هذه ولا يتحرجون من تلك، إن هؤلاء لا يقرؤون القرآن ولا يعرفون طبيعة هذا الدين، فليقرؤوا القرآن كما أنزل الله وليأخذوا قوالبه بجد ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾".

فإن قيل: إن لم نتحاكم إلى هؤلاء الطواغيت (مجلس الأمن أو محكمة العدل الدولية) فستسفك الدماء! فعند التحاكم إليهم ستحقن دماء المسلمين!

فالجواب: قال سليمان بن سحمان رحمه الله:"إذا عرفت أن التحاكم إلى الطاغوت كفر، فقد ذكر الله في كتابه: أن الكفر أكبر من القتل، قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البَقَرَة:217].

وقال: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البَقَرَة:191].

والفتنة هي الكفر، فلو اقتتلت البادية والحاضرة، حتى يذهبوا لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتاً يحكم بخلاف شريعة الإسلام، التي بعث بها رسول الله ﷺ"انتهى.

وقال حمد بن عتيق (سبيل النجاة والفكاك) ص: 89:"اعلم أن إظهار الموافقة للمشركين له ثلاث حالات... ثم قال: "الوجه الثاني: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن وهو ليس في سلطانهم، وإنما حمله على ذلك إما طمعاً في رئاسة أو مال أو مشحة بوطن أو عيال أو خوف مما يحدث في المآل؛ فإنه في هذه الحال يكون مرتداً، ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن" اهـ.

16- إعطاء حق التشريع للشعب أو من ينوبه من (أعضاء مجلس النواب). فالشعب عندهم هو مصدر جميع السلطات (التشريعية والقضائية والتنفيذية) تنص المادة (4) من الدستور على أن (الشعبُ مالكُ السلطةِ ومصدرها).

طبعا: ومنها: السلطة التشريعية، ويتم ذلك عن طريق اختيار ممثلين عن الشعب ينوبون عنه في مهمة التشريع وسن القوانين، وبعبارة أخرى: فإن المشرّع المطاع في الديمقراطية هو (أعضاء مجلس النواب) وليس الله..! فإن وظيفة (أعضاء مجلس النواب) في جميع الدول الديمقراطية في العالم:

1-تشريع وتقنين القوانبن وإقرارها.

2-مراقبة السلطة التنفيذية.

3-إقرار الميزانية العامة للدولة.

4-إعطاء الحكومة الثقة أو حجب الثقة عنها.

وننبه: أن مجرد قبول النائب بأن يكون له حق التشريع المطلق وفقاً لنصوص الدستور هو قبول بأن يكون نداً لله "وطاغوتاً" وسواء شرّع بعد ذلك ما يناقض الشريعة أم لم يشرع فهذا أمر آخر. لا يعدو كونه زيادة في الكفر أي "كفراً فوق كفر" أو ممارسة عملية لذلك المبدأ الكفري الذي ارتضاه وقبله وتواطأ مع المشركين عليه.

وأيضا ننبه: أن التشريع الذي هو من خصائص الألوهية هو ليس فقط في مجال التحريم والتحليل!! فهناك أيضاً التشريع للحدود والعقوبات المختلفة ومقادير الديات والمواريث والفرائض وغير ذلك مما هو معلوم في الكتاب والسنة.

أما نحن المسلمين! فمصدر السلطة التشريعية: هو الله وحده ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:21]

ويوجد فرق بين مزاولة الأمة لسلطة الحكم بما أنزل الله، وبين أن تكون هي مصدر الحكم والتشريع كما هو الحال في النظم الديمقراطية.

فالأول حق من حقوق الأمة، والثاني شرك وكفر لا ينبغي لمخلوق أن يتجاسر عليه – أيّاً كان موضعه وكانت رتبته – أو أن ينسب نفسه إليه إلا في حال آثر الكفر على الإيمان، وليس فوق الكفر ذنب! ومما ينبغي أن يعرفه المسلم أن أكثر المشركين على مرّ العصور لم يكونوا مشركين مع الله في ربوبيته، بمعنى أنهم لم يكونوا يدّعون أن هناك خالقاً ورازقاً ومدبراً لهذا الكون غيره سبحانه..

وإنما كان شركهم الذي قتّلوا الرسل وآذوهم وعادوهم من أجله، أن جعلوا لله أنداداً وشركاء ساووهم به سبحانه لا في الخلق والرزق والتدبير.. بل في العبادة والطاعة والتشريع.. والتحليل والتحريم. ولذلك قال تعالى منكراً على أمثالهم: "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"ومعلوم أنهم ما ادعوا أنّ الأحبار والرهبان خلقوهم أو أنهم يرزقونهم.. بل كان اتخاذهم إياهم أرباباً، بعبادتهم،

كما قال تعالى بعد ذلك في الآية نفسها: "وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون" التوبة.

ومعلوم أنهم لم يكونوا يعبدون الرهبان والأحبار، بمعنى أنهم يصلّون لهم أو يصومون، ولو طلبوا منهم ذلك بهذه الصراحة لما فعلوه، بل كانت عبادتهم بطاعتهم في التشريع والتحليل والتحريم. وهذا هو شركهم الذي ذكره الله في الآية.. وقد تقدم تفسير النبي ﷺ لعبادتهم الأحبار والرهبان، بأنها طاعتهم في التشريع.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالته (**التسعينية**): "والإيجاب والتحريم ليس إلا لله ولرسوله فمن عاقب على فعل أو ترك، بغير أمر الله ورسوله، وشرعّ ذلك ديناً [أي جعله شرعاً متبعاً]، فقد جعل لله نداً ولرسوله نظيراً، بمنزلة المشركين الذين جعلوا لله أنداداً أو بمنزلة المرتدين الذين آمنوا بمسيلمة الكذاب، وهو ممن قيل فيه:﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ [الشورى:21].

وقال الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله:" **والطواغيت كثيرة ورءوسهم خمسة**:

(الأول) الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: 60].

(الثاني) الحاكم الجائر المغيِّر (المشرع) لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدا﴾ [النساء:60] "**اهـ**.

ومنه تعلم أن الأمر جد خطير.. فكم من الناس قد هلك وتساقط في هذا الشرك الصراح...! مصداقاً لحديث الرسول ﷺ:"وإن مما أتخوّف على أمتي أئمة مضلين، وستعبد قبائل من أمتي الأوثان، وستلحق قبائل من أمتي بالمشركين"رواه أبو داود وابن ماجة عن ثوبان مرفوعاً بسند صحيح.

فمن انتخب وتابع إماماً من هؤلاء الأئمة المضلين المشرعين مُنيطاً به التشريع فإنما يختار في الحقيقة رباً ليشرع له وفق أحكام الدستور، قد أشركه مع الله تعالى في العبادة، وقد قال سبحانه منكراً على المشركين:"ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار"وقال عز وجل:" أم لهم شركاء شرعوا لهم

من الدين ما لم يأذن به الله"فهذه هي حقيقة العبادة التي صرفها أكثر الناس لغير الله في هذا الزمان.. وهذا هو شرك العصر الذي عمّ وطم، ولم ينجُ منه إلا من عصم الله.

17- حصول التردد والخيرة في قبول أمر الله ورسوله وعدم قبوله؛ وذلك من خلال التصويت على أحكام الإسلام القطعية ورفع الأيدي وخفضها! (هل نأخذ قرض ربوي؟ أم لا؟ هل نمنع الخمر في المكان الفلاني؟ أم لا؟ هل نحكم بالشريعة؟ أو لا؟).

وهذا يعني حصول التردد والخيرة في قبول أمر الله ورسوله وعدم قبوله، فإن مجرد المشاركة في هذه المجالس فيها تعقيب على شرع الله – وإن كنتم في معتقداتكم أنكم تطالبوا بشرع الله- لأن الشريعة ليست قابلة للتصويت أو تكثير الأصوات المطالبة بالشريعة، فإن الله يقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

قال السعدي رحمه الله:"وهذا يشمل الحكم الكوني القدري، والحكم الشرعي الديني، فإنه الحاكم في خلقه، قضاء وقدرا، وخلقا وتدبيرا، والحاكم فيهم، بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه"اهـ.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:"وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر"المدارج: 337/1.

فهذا الذي أرجع الأمر إلى الشعب قد اعتقد أنه مخير في الأمر وأنه لا يلزمه حكم الله، وفعله وقوله يدلان على ذلك، وهو باستشارته البشر في العمل بشرع الله قد خرج عن حكم أهل الإيمان لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب:36].

أما عندنا نحن المسلمين: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:36].

بينما الديمقراطية تقول: نعم لهم أن يختاروا وأن يُعقّبوا ويرفضوا..!!

18- التسوية الصريحة والواضحة بين شرع الله عز وجل وبين شرع الطاغوت؛ وذلك من خلال التصويت على أحكام الإسلام القطعية ورفع الأيدي وخفضها (هل نأخذ قرض ربوي؟ أم لا؟ هل نمنع الخمر في المكان الفلاني؟ أم لا؟ هل نحكم بالشريعة؟ أو لا؟).

حيث كلاهما يخضعان بالتساوي لعملية التصويت، والرد والقبول والاختيار..! فمن ساوى بين حكم الله تعالى وبين حكم الله الطاغوت، واعتقد التماثل بينهما، فهذا كفر ناقل عن الملة؛ لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق والمناقضة والمعاندة لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: من الآية11] ولقوله عز وجل:﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: من الآية22].

إن دعوى المساواة بين الحكم الإلهي والحكم والوضعي تنقّص للرب ﷻ وغلو وطغيان في أحكام البشر، وشرك بالله – تعالى – لما في هذه المساواة من اتخاذ الأنداد مع الله تعالى يقول تعالى: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:74].

وأصحابه لهم سوء الجزاء يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:94-98]

ومن تسويتهم للطواغيت برب العالمين تسوية حكمهم وشرائعهم بحكم وشرائع الله Y وجعلهما سواء في المرتبة والتعامل..!

19- السخرية بأحكام الإسلام القطعية؛ وذلك من خلال التصويت على أحكام الإسلام القطعية ورفع الأيدي وخفضها (هل نأخذ قرض ربوي؟ أم لا؟ هل نمنع الخمر في المكان الفلاني؟ أم لا؟ هل نحكم بالشريعة؟ أو لا؟) فعملية التصويت تتضمن الاستخفاف والتهكم بشرع الله ودينه، وهذا مغاير لما يجب لدين الله تعالى وشرعه من تعظيم وتوقير وإجلال، كما قال تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً ﴾ [نوح:14].

عندنا نحن المسلمين: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:66].

وهل هناك استهزاء أكبر من أن تؤخّر الشريعة، أو يقدم عليها غيرها، أو تجعل ورقة تعرض على هذا الهراء الذي يسمّى مجلس النواب فيوافق عليها من يوافق ويعترض من يعترض، ويعتبر هذا هو الطريق الوحيد للحكم بها؟!

20- الجلوس مع المستهزئين وقت سخريتهم وتصويتهم على شرع الله، والله يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: 140].

فقد حكم الله تبارك وتعالى في هذه الآيات حكما بيّنا أن من قعد مع الخائضين في الكفر دونما إكراه؛ أنه كافر مثلهم، وأنه سيجمعه سبحانه معهم في جهنم مصيرهم الأخروي، كما اجتمعوا معهم ولم يفارقوهم أو يبرؤوا منهم في الدنيا حال خوضهم في الكفر دونما إكراه..

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله:" الآية على ظاهرها، وهو أن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فجلس عند الكافرين المستهزئين من غير إكراه ولا إنكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره؛ فهو كافر مثلهم وإن لم يفعل فعلهم.. "أهـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية – جزء الجهاد ص (72).

قال القرطبي رحمه الله:"قوله تعالى: "فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ" أي غير الكفر "إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ" فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر، قال الله عز وجل: "إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ". فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية".

وقال الشوكاني في التفسير 527/1: قوله:""إنكم مثلهم" أي إنكم إن فعلتم ذلك ولم تنتهوا فأنتم مثلهم في الكفر"اهـ.

وقوله تعالى في الآية"إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً"أي كما اجتمع الكفار والمنافقون في الدنيا على الكفر والباطل والطعن بالحق وفي مجالس التآمر والكيد فإن الله تعالى سيجمع بينهم جميعا في نار جهنم.

قال ابن جرير:"وقوله: "إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم" يقول إن الله جامع الفريقين من أهل الكفر والنفاق في القيامة في النار فموفق بينهم في عقابه في جهنم وأليم عذابه كما اتفقوا في

الدنيا فاجتمعوا على عداوة المؤمنين وتوازروا على التخذيل عن دين الله وعن الذي ارتضاه وأمر به أهله"اهـ.

لتعلم خطورة ما نحن في صدده، وأن الأمر ليس بالهزل.. فمن جامعهم على ذلك في الدنيا اجتمع معهم في جهنم وبئس المصير؛ والجزاء من جنس العمل.. وقد رفع لعمر بن عبد العزيز رحمه الله قوم يشربون الخمر فأمر بجلدهم، فقيل له: إن فيهم صائماً! فقال: ابدؤا به، أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُم﴾"اهـ.

فجعل حاضر المنكر كفاعله؛ لأن جلوسه معهم من غير إكراه ولا إنكار قرينة دالة على الرضى بحالهم وفعلهم، فعوقب بمثل ما عوقبوا به، فإذا كان يا قوم هذا جزاء القاعد معهم فكيف بجزاء من يشارك ويلتزم بهذه الكفريات الواضحات البينات فعليا...؟! وقد ذهب بعض السلف الصالح رحمهم الله: أنه لا يقال إنما يحرم مقاعدتهم والإنصات لهم فقط حال استهزائهم وخوضهم في دين الله، بل الحق أنه لا تحل مجالسة كل من عرف بالخوض في آيات الله تعالى ولا مصاحبته أو مقاعدته لغير ما دعوة أو إنكار، فالله قد أمرنا بالابتعاد عنهم في آخر الآيات فقال:﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً..﴾.

قال الحسن البصري: "لا يجوز له القعود معهم خاضوا أولم يخوضوا، لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾" أهـ.

اللهم إني أبرأ إليك مما عمل هؤلاء... اللهم هل بلغت اللهم فاشهد.

***ما هو حكم الله في الذين يطيعون الكفار في سلوك الطريق الديمقراطي؟** إن تطبيق الديمقراطية والرضى بها هو استجابة للدعوات المتتالية من الكافرين بضرورة تطبيقها، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 100].

***ونعيد ونكرر**: أنه لا يجوز تكفير عوام المسلمين الذين يشاركون في هذه الانتخابات والأحزاب إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة؛ وذلك لغربة الدين في هذه المسألة ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 42].

وذلك أن غالب الناس اليوم لا يعرفون حقيقة المجالس التشريعية المسماة بالبرلمان والدساتير، وقد وقع عليهم اللبس في معناها، وهذا اللبس مُتَصَوَّرٌ في حقهم إذ أنها ألفاظ محدثة ولم تستفض بين الناس، ويقع فيها التلبيس على المسلمين، فيظنون أنه لا فرق بين البرلمان والشورى. فإن غالب الأحزاب التي تتسمى بالإسلام في أقطار المسلمين، يأتون إلى آحاد العامة ويغرونهم بشرع الله وأنهم يريدون تطبيقه، ويقولون لهم: صوتوا لنا في انتخابات البرلمان وسنطبق الشريعة، أو وافقوا على الدستور حتى نطبق الشريعة، وتجد هذا العامي المسكين لا يكاد ينطق الديمقراطية بلفظها الصحيح فما بالك بأن يعرف معناها؟! فهو جاهل بحقيقة الديمقراطية، وليس جاهلاً بحكم من صرف التشريع لغير الله أو تحاكم إلى غير شرعه! فيجيب إلى قولهم ثقةً منه في هذه الأحزاب، وهو لا يعلمُ شيئاً ونيته سليمة وقصده بذلك نصرةَ شرع الله.

***وقد وصف الله الحكم بغير الله ما أنزل الله والإعراض عن حكم الله ورسوله (كالديمقراطية) بأبشع أوصاف الذم:**

1– (**الكفر**)، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة/44].

2– (**الظلم**)، قال تعالى:﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة/45].

3– (**الفسوق**)، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة/47].

وظاهر سياق تلك الآيات يدلّ على أن المعنى المقصود أصلاً بالكفر والظلم والفسق فيها، هو الكفر الأكبر، والظلم الأكبر، والفسق الأكبر، كما يوضح ذلك سبب نزولها، حيث إنها نزلت في اليهود كما جاء في رواية البراء بن عازب ﷺ في سبب نزول تلك الآيات: (في الكفار كلها) رواه مسلم.

4– (**نفي الإيمان**): قال تعالى: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65].

يقول ابن حزم رحمه الله تعالى في (الفصل (293/3) عن هذه الآية: (فهذا هو النص الذي لا يحتمل تأويلاً ولا جاء نص يخرجه عن ظاهره أصلاً، ولا جاء برهان بتخصيصه في بعض وجوه الإيمان) اهـ.

قال ابن عطية رحمه الله في (المحرر الوجيز): "وقال مجاهد وغيره: المراد بهذه الآية من تقدم ذكره، ممن أراد التحاكم إلى الطاغوت، وفيهم نزلت، ورجح الطبري هذا؛ لأنه أشبه بنسق الآية" اهـ.

ويدل على هذا سياق الآيات في السورة نفسها وقبل هذه الآية بقليل، فإنها نافية لأصل الإيمان.. كقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية [النساء:59].

وذكر الإيمان باليوم الآخر في الآية يقطع شبهة القول بكمال الإيمان؛ لأنه شعبة من شعب الإيمان الرئيسة التي يزول بزوالها أصل الإيمان ومنه قوله تعالى قبلها أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: 60-61].

وهكذا فسياق الآيات كلها قبل آية الباب هو حول انتفاء أصل الإيمان لا كماله، ثم جاءت هذه الآية نصاً في الموضوع نفسه.. فالقائل بهذا مستصحب لأصل الخطاب المتضمن في السياق.. والمخرج لها عن ذلك خارج عن هذا الأصل مطالب بالدليل..

يقول الجصاص رحمه الله في **(أحكام القرآن)** عن هذه الآية بعد أن ذكر بعض معاني الحرج ومنها الضيق أو الشك: "وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئاً من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله ﷺ فهو خارج من الإسلام سواء رده من جهة الشك.. أو ترك القبول والامتناع من التسليم.. وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع عن أداء الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم، لأن الله تعالى حكم بأن من لم يسلّم للنبي ε فليس من أهل الإيمان" اهـ.

5-6- (النفاق) و**(الضلال البعيد)** قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (61) ﴾ [النساء].

7- (الشرك) قال تعالى: ﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 26].

وفي قراءة: ﴿ولا تشرك﴾.

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: "اعلموا أيها الإخوان: أنَّ الإشراك بالله في حكمه والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد لا فرق بينهما البتة فالذي يتبع نظاماً غير نظام الله وتشريعاً غير تشريع الله – أو غير ما شرعه الله – وقانوناً مخالفاً لشرع الله من وضع البشر مُعْرِضَاً عن نور السماء الذي أنزله الله على لسان رسوله... من كان يفعل هذا هو ومن كان يعبد الصنم ويسجد للوثن لا فرق بينهما البتة بوجه من الوجوه! فهما واحد، كلاهما مشرك بالله، هذا أشرك به في عبادته، وهذا أشرك به في حكمه، كلهما سواء".

8– (الجاهلية) قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50]

و(المجتمع الجاهلي) قد يتمثل في صور شتى – كلها جاهلية –: قد يتمثل في صورة مجتمع ينكر وجود الله تعالى، ويفسر التاريخ تفسيراً مادياً جدلياً، ويطبق ما يسميه (الاشتراكية العلمية) نظاماً وقد يتمثل في مجتمع لا ينكر وجود الله تعالى، ولكن يجعل له ملكوت السماوات، ويعزله عن ملكوت الأرض، فلا يطبق شريعته في نظام الحياة، ولا يحكِّم قيمه التي جعلها هو قيماً ثابتة في حياة البشر، ويبيح للناس أن يعبدوا الله في المساجد، ولكنه يحرِّم عليهم أن يطالبوا بتحكيم شريعة الله في حياتهم، وهو بذلك ينكر أو يعطل ألوهية الله في الأرض، التي ينص عليها قوله تعالى "وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ" ومن ثم لا يكون هذا المجتمع في دين الله الذي يحدده قوله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾.. وبذلك يكون مجتمعاً جاهلياً، ولو أقر بوجود الله سبحانه ولو ترك الناس يقدمون الشعائر لله في المساجد.

9– (الردة) قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (25) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد:25-26].

قال الشنقيطي رحمه الله: "والآية الكريمة تدل على أن كل من أطاع من كره ما نزل الله في معاونته له على كراهته ومؤازرته له على ذلك الباطل، أنه كافر بالله، بدليل قوله تعالى فيمن كان كذلك (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)... إلى أن قال:"فكل من قال لهؤلاء الكفار الكارهين لما نزله الله: سنطيعكم في

بعض الأمر، فهو داخل في وعيد الآية، وأحرى من ذلك من يقول لهم: سنطيعكم في كل الأمر، كالذين يتبعون القوانين الوضعية مطيعين بذلك للذين كرهوا ما نزل الله، فإن هؤلاء لاشك أنهم ممن تتوفاهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، وأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه، وأنه محبط أعمالهم"اهـ.

10- اتّباع الهوى: قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: 44].

قال ابن كثير رحمه الله في هذه الآية:" وقوله: "ولا تتبع أهواءهم" أي: آراءهم التي اصطلحوا عليها، وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسوله؛ ولهذا قال: "ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق" أي: لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء"أهـ.

*وقد أخبرنا الله بالسبب الحقيقي الذي يجعل هذا الكافر الظالم الفاسق المرتد المشرك المنافق الضال عديم الإيمان الجاهلي المتبع لهواه** يعرض عن التحاكم إلى شريعة الله ويرضى بالتحاكم إلى الديمقراطية والدستور ومجلس الأمن وحقوق الإنسان**!**" أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"؟**!**

قال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: 50].

قال ابن كثير رحمه الله:" ولهذا قال تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ يعني: لا يخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب مَرَض لازم لها، أو قد عرض لها شك في الدين، أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم، وأيّا ما كان فهو كفر محض، والله عليم بكل منهم، وما هو عليه منطو من هذه الصفات".

وبعد هذا البيان: أيجوز أن يقال إن الدخول في (اللعبة الديمقراطية) مسألة اجتهادية؟!

الرسالة الرابعة: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾[(2)]

ففي هذه الآية: دليل على أنّ من اتّبع أحكام الكفار من (ديمقراطية) وغيرها وأعرض عن الإسلام؛ أنّه مشرك، ودل على أن الأمريكان والأوربيين والمرتدين الذين يدعون إلى الديمقراطية الكافرة وترك الإسلام؛ أنهم جند للشيطان، وأن الشياطين يوحون إليهم ويأمرونهم بدعوة المسلمين إلى (الديمقراطية).

وفي هذه الآية دليل على أن طرح الشبهات وإيراد المشكلات دأب أهل الضلالة من قديم، يفعلون ذلك صداً عن سبيل الله واستجابة لداعي الهوى في نفوسهم التي جبلت على الإعجاب بالرأي وإيثار العاجلة على الباقية، ومن المعلوم أن (باب التأويل والاجتهاد) باب واسع قد يؤول بصاحبه إلى اعتقاد الحلال حراماً والحرام حلالاً، هذا إذا كان في أصله سائغاً فكيف إذا كان غير سائغ، بل هو اجتهاد آثم؛ لمصادمته أصول الدين المعلومة منه بالضرورة، وإنا لنتلوا قول الله تعالى:"إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي بها من تشاء"**الأعراف / 155**.

وفي القرآن الكريم نماذج لبعض تلك الشبهات التي طرحها المشركون الأولون على الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كقولهم:"أنؤمن لك واتبعك الأرذلون"وقولهم:"أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون"، وقولهم:"أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر"وقولهم:"أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء"وجماع ذلك قول الله في القرآن:"وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون".

وقبل أن نبدأ بالرد على شبهات الديمقراطيين لا بد أن يُسلّموا أولا: بأن الديمقراطية طاغوت وكفر بالله العظيم.

فقد نص العلماء في قواعدهم الفقهية.. أن (الحكم على الشيء فرع من تصوره).. فلا بد أولاً من معرفة حقيقة هذه الانتخابات، وماهيّة برلماناتها، ليسهل بعد ذلك معرفة حكم المشاركة فيها..

---

(2) [الأنعام: 121]

فإذا تبين حكم الله.. لم يجز لأحد بعد ذلك أن يتجاوزه أو يتعداه أو يحيد عنه إلى آراء واستحسانات وأهواء البشر مهما زخرفوها...

الشبهة (1): الاستدلال بفتاوى بعض أهل العلم. فنقول: **أولا:** هذا عذر كل من وقع في الكفر والشرك من الجهلة: سواء كان صوفيا أو رافضيا أو قبوريا بل حتى يهوديا أو نصرانيا!.

وقد حذرنا الله تعالى من فساد العلماء في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة:34].

وإن أكثر ضلال الناس بتقليد الكبراء، ومسايرة الواقع، بلا تفكّر وتدبر بالحق"وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا".

وقال ابن الحاج في (المدخل: ج1/ ص94-95):"وهذا هو الذي أذهب شريعة عيسى عليه السلام: أعني التقليد لأحبارهم ورهبانهم دون دليل يدلهم على ذلك حتى صار أمرهم أنه في كل جمعة من الأحد إلى الأحد يجدد لهم القسيس شريعة جديدة بحسب ما يراه لهم من المصلحة في وقته على ما يقتضيه نظره وتسديده على زعمه، فتجدهم يخرجون من كنائسهم وهم يقولون لقد جدد اليوم شريعة مليحة، وقد عصم الله والحمد لله هذه الشريعة، فالحذر من هذا الداء العضال"اهـ.

ثانيا: نقول: كما يوجد رجال من أهل العلم أفتوا بجواز المشاركة، كذلك يوجد رجال من أهل العلم أفتوا بعدم المشاركة! فالمسألة لا تناقش بهذا الأسلوب، رجال مقابل رجال من دون النظر إلى أدلة كل فريق فيما اعتمدوه وأفتوا به! فليس كل خلاف رحمة فمن الخلاف ما يُوصل إلى الكفر! والواجب مدافعته بالأسباب المشروعة قال تعالى ﴿ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾. فمتى تبين للمسلم أن الدليل الشرعي مصادم لقول أحد العلماء فهو بأحد أمرين:

1-إما أن يأخذ بقول العالم ويرد الدليل.

2- وإما أن يأخذ بالدليل ويرد قول العالم ويأخذ بقوله تعالى:"قل ءأنتم أعلم أم الله"؟!، ولم يبق اختيار ثالث!

فنحن نتواضع للخلق وللحق، لكن إن تعارض الخلق مع الحق، قدمنا التواضع للحق على الخلق.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:"وإذا قيل لهذا المستهدي المسترشد: أنت أعلم أم الإمام الفلاني؟! كانت هذه معارضة فاسدة... فكما أن هؤلاء الصحابة بعضهم لبعض أكفاء في موارد النزاع وإذا تنازعوا في شيء ردوا ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول وإن كان بعضهم قد يكون أعلم في مواضع أخر... وقد كان بعض الناس يناظر ابن عباس رضي الله عنهما في المتعة – أي الحج متمتعا – فقال له: قال أبو بكر وعمر، فقال ابن عباس: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء! أقول قال رسوله الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر!" ... ولو فتح هذا الباب – يعني المعارضة بـ (أنت أعلم أم فلان؟!) – ولو فتح هذا الباب لوجب أن يعرض عن أمر الله ورسوله ويبقى كل أمام في أتباعه بمنزلة النبي ﷺ في أمته، وهذا تبديل للدين ويشبه ما عاب الله به النصارى في قوله: "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله..." اهـ.

ثالثا: من أصول أهل السنة والجماعة أن كل إنسانٍ مهما بلغت درجته من العلم فإنه يخطئ ويصيب، ويؤخذ منه ويرد عليه، عدا النبي ﷺ. قال البخاري في كتاب الاعتصام من صحيحه: "باب إذا اجتهد العامل – أو الحاكم – فأخطأ خلاف الرسول اللهصلى الله عليه وسلم من غير علم فحكمه مردود لقول النبيصلى الله عليه وسلم:"من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"" اهـ.

فالحل الشرعي الصحيح لكل نزاعٍ أو خلاف يحصل بين المسلمين يكمن بالرجوع إلى حكم الكتاب والسنة وليس إلى أي شيء آخر، كما قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء:59].

رابعا: إذا تبين أن الديمقراطية هي طاغوت وكفر بالله العظيم فقد حكى الله عن قوم يعذبون ويشوون في النار: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (66) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (68)﴾ [الأحزاب].

وقد عقد الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله باباً مستقلا في كتاب (التوحيد) فقال رحمه الله تعالى: "باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله".

وقال ابن هبيرة رحمه الله: "إن من مكائد الشيطان أن يقيم أوثانا في المعنى تُعبد من دون الله، مثل أن يتبين له الحق فيقول: ليس هذا مذهبنا، تقليدا لمعظم عنده قد قدمه على الحق" العقد الياقوتيه 104.

خامسا: المجيزون من أهل العلم المعاصرين، فهم فريقان: فريق قيدوا المشاركة بقيود وشروط ينتفي معها إمكانية تحقيق المشاركة بالبرلمانات التشريعية على طريقة دعاة حاكمية الشعب والجماهير..! فاشترطوا أن تكون المشاركة وفقا للضوابط الشرعية! وبشرط أن لا تؤدي إلى إقرار الكفر فضلا عن العمل به والمشاركة فيه، وهي شروط لا يمكن للمشارك قطعا أن يوفيها؛ ينبئ عن ذلك ويشهد به واقع التجارب المخزية التي خاضها مروجو هذه الفتاوى في شتى البلدان، الذين ذابوا في أنظمة الحكم وانغمسوا في برامجها وصاروا أحجارا على رقعتها.. فالمتأمل المنصف والمستقرئ للمشاركات التي حصلت في زماننا في شتى البلدان يرى أن هذه الضوابط والشروط التي لا يمكن المحافظة عليها، والتي اشترطها أولئك المشايخ الذين أفتوا بذلك لبعدهم عن الواقع؛ قد ألقاها المشاركون وراء ظهورهم ولم نعد نرى لها أثرا، أو نسمع لها حسا ولا خبرا في آلية عملهم ومنهجيتها.. ويبقى الأنقياء الأتقياء المتبرئون من الشرك وأهله المعتصمون بتوحيدهم ثابتون على نهجهم لا تحركهم العواصف كما لا تهزهم الشبهات..

وفريق ثان من خلال المتابعة لأقواله في المسألة، تبين أنه غير ملمٍّ بأبعاد المسألة وفقهها وواقعها، وأدلتها، وما يترتب عليها من مزالق.. ومثل هذا لا يلتفت إليه، ولا يمكن أن يُعتد بقوله ورأيه، وإن ضرب صيته الأمصار.. وندعوا له بالهداية وأن يبصره الله بالحق!

فإن قيل: هل المشايخ -هؤلاء- سيتركون الأمة على الضلال؟!

قلنا: اعلم أنا لم نؤمر أن نشق عن قلوب الناس ولا أن ننبش عن نواياهم ولم نشتغل يوما قط في قصد هؤلاء المشايخ ودوافعهم القلبية في اجتهاداتهم التي خطأناهم فيها بالدليل القطعي.. فهذا نكله لمن يعلم السر وأخفى سبحانه وتعالى.. وإنما كلامنا دوما منحصر فيما يظهر لنا من أعمال أو فتاوى وأقوال؛ وهكذا أمرنا في أحكام الدنيا.

وإنما يهمنا من ذلك كله التنبيه على الخطأ الظاهر والضلال البين والانحراف الواضح الذي قد يغتر به المسلمون ويضلوا في متابعتهم لهؤلاء المشايخ والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الشبهة (2) أن (**الديمقراطية هي الشورى**)!

فنقول: **أولا**: قد ثبت بالأدلة القطعية: أن الديمقراطية هي طاغوت وكفر بالله العظيم، وتغيير الأسماء لا قيمة له ما دامت الأشياء أو الحقائق هي هي...

قال ابن القيم رحمه الله: "ولو أوجب تبديل الأسماء والصور تبدل الأحكام والحقائق، لفسدت الديانات وبُدِّلت الشرائع واضمحل الإسلام، وأي شيء نَفَعَ المشركين تسميتهم أصنامهم آلهة؟! وليس فيها شيء من صفات الإلهية وحقيقتها؟ وأي شيء نفعهم تسميتهم الإشراك بالله تقرباً إلى الله؟"

ثم إن كلمة (الديمقراطية) ليست عربية حتى نبحث عن معناه في القواميس العربية! إنما هي كلمة يونانية لا أصل لها في اللغة العربية، وهي غريبة المنشأ والمعنى ومعناها: (حكم الشعب أو تشريع الشعب) فليست هي الشورى الإسلامية!

ثانيا: هل يُعقل أن الديمقراطية هي الشورى الإسلامية مع أن أمريكا ودول الاتحاد الأوربي الصليبي يدعمون هذه البلاد من عرق شعوبهم بملايين الدولارات! فهي تنفق أموالا طائلة على الدول الإسلامية لتطبيق الديمقراطية! والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال:36].

لا لإقامة دين الله! ثم هم بعد ذلك من يراقب العملية الديمقراطية ويثنون عليها! والله تعالى يقول: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة:120].

فهل يكون ذلك هو الإسلام الذي أراده الله؟! أم أنه هو الإسلام الأمريكي؟! فرضى اليهود والنصارى وغيرهم من ملل الكفر عن المسلم – بدلالة الآية أعلاه – لهو دليل على انحرافه عن جادة الحق والصواب، وعلى متابعته لهم فيما هم عليه من الباطل، وهو مدعاة لهذا المسلم أن يتهم نفسه ويراجعها، وينظر أين هو من دين الله تعالى!! ومن علامات ذلك:

إن وجدوا منه ما يرضيهم عنه وصفهم له بأنه: مرن، ومتفتح، وغير متشدد ولا متزمت، ولا متعصب، وأنه معتدل، ومتحرر.. وغير ذلك من الاطلاقات والأوسمة التي أصبحنا نسمعها منهم على من يدخل في طاعتهم وموالاتهم! ومهما فلسف بعض المنتسبين إلى الدعوة ذلك وأولوا

الديمقراطية وسمّوه بغير اسمه، فلن يخرجوه بذلك عن حقيقته.. لأن العبرة بالحقائق والمباني لا بالمصطلحات والأسامي! وأول من تلاعب بالأسماء ليُموّه الحقائق (إبليس) لما سمى شجرة الحرمان بشجرة الخلد:﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: 120].

وصدق ﷺ "ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها" رواه أبو داود وأحمد وصححه الألباني.

فهل غيّر ذلك من حقيقتها ومن حكمها الشرعي شيئاً؟؟! ولقد حدثنا نبينا ﷺ عنهم، فقال: "دُعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها" قال حذيفة: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: "هم من جِلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا" رواه البخاري ومسلم.

إذا تبيّن هذا فليعلم المسلم أنَّ الفوارق الجليّة بين الشورى التي شرعها الله لعباده، وبين الديمقراطية العفِنة هي كما بين السماء والأرض... بل هي في عِظَمها كعِظم الفارق بين الخالق والمخلوق! والتي منها:

1- الشورى كلمة عربية قرآنية جاء ذكرها والأمر بها في القرآن الكريم في أكثر من موضع، بينما الديمقراطية كلمة غربية، خبيثة المنبت والمنشأ، لا قرار لها ولا أصل ولا وجود لها في اللغة العربية، ولا في دين الله تعالى.

2- الشورى حكم الله تعالى، بينما الديمقراطية هي حكم الشعب، وحكم الطاغوت.

3- الشورى تقرر أن السيادة والحاكمية لله تعالى وحده، بينما الديمقراطية تقرر أن السيادة وإلى حاكمية للشعب، وما يختاره الشعب.

4- الشورى تكون في مواضع الاجتهاد؛ فيما لا نص فيه، بينما الديمقراطية تخوض في كل شيء، وتحكم على كل شيء بما في ذلك النصوص الشرعية ذاتها، حيث لا يوجد في نظر الديمقراطية شيء مقدس لا يمكن الخوض فيه، وإخضاعه لعملية التصويت والاختيار.

5- تخضع الشورى لأهل الحل والعقد، وأهل الاختصاص والاجتهاد، بينما الديمقراطية تخضع لجميع طبقات وأصناف الناس؛ الكافر منهم والمؤمن، والجاهل منهم والعالم، والطالح والصالح فلا فرق، وكلهم لهم نفس الأثر على الحكم والقرار..!

6- تهتم الشورى بالنوع والرأي الأقرب إلى الحق والصواب وإن خالف ذلك الأكثرية وما عليه الجماهير، بينما الديمقراطية تهتم بالكم والغثاء، وهي تدور مع الأكثرية حيث دارت، ولو كانت النتيجة مخالفة للحق موافقة للباطل..!

7- ينبثق عن الشورى مجلس استشاري وظيفته استخراج أقرب الآراء إلى الحق وفق ضوابط وقواعد الشرع، بينما الديمقراطية ينبثق عنها مجالس تشريعية، لها صلاحيات التحليل والتحريم، وسن القوانين والتشريعات بغير سلطان من الله تعالى.

8 - الشورى من دين الله تعالى، الإيمان بها واجب وجحودها كفر ومروق، بينما الديمقراطية دين الطاغوت، الإيمان به كفر والكفر به إيمان، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة:256].

9- الشورى – على القول الراجح - واجبة غير ملزمة، بينما الديمقراطية فإن الآراء التي تؤخذ عن طريقها – مهما كان نوعها وقربها أو بعدها عن الحق – فإنها ملزمة وواجبة ونافذة..! وللتذكير فإننا نقول: من يُسوي بين الشورى والديمقراطية، ويعتبرهما شيء واحد من حيث الدلالة والمعنى أو القيمة، مثله مثل من يسوي بين الخالق والمخلوق! وبين شرع الله تعالى ودينه وشرع الطاغوت ودينه! وعليه وعلى أضرابه يُحمل قوله تعالى: ﴿ قالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:96-98].

الشبهة الثالثة: (المصالح والمفاسد): ففي دخولنا (اللعبة الديمقراطية)! نمنع تفرد العلمانيين في الحكم! ونقلل كثير من المفاسد ونرفع الظلم! وهو وسيلة للدعوة إلى الله ونفع الناس ثم هو الطريق إلى تحكيم الشريعة الإسلامية! ويستدلون بما يلي:

1–عمل يوسف عليه السلام عند ملك مصر الكافر، ولا بد أنه في عمله لم يكن يحكم بما أنزل الله، وإنما كان يحكم بشريعة الملك الطاغوت!

2– مشاركة النبي مُحَمَّد ﷺ قومه في الجاهلية في حلف الفضول.

3– أن المشاركة في (اللعبة الديمقراطية) هي من جنس ما جاء في (صلح الحديبية)! وقد سمى الله صلح الحديبية فتحاً مبيناً لما فيه من تمكن المشركين من تفهم دين المسلمين ووضعهم، مع ما تضمنه من الغضاضة التي لحقت الصحابة في الظاهر، فقد أجابهم الرسول ﷺ في ترك

كتابة (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)، وكتابة محمَّد رسول الله، وكون من أتى إليهم من المسلمين لا يرد ومن أتى من المشركين إلى المسلمين يرد إلى المشركين، وغير ذلك).

4- قول شيخ الإسلام رحمه الله: "إذْ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثَ بِتَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا وَتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا"!!

وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله: "إذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء: هل هو الإباحة أو التحريم؟ فلينظر إلى مفسدته وثمرته وغايته"!!

فتقدير المصلحة والمفسدة مسألة اجتهادية.

5- نحن دخلناها مضطرين كما في قصة عمار بن ياسر رضي الله عنهما وكأكل الميتة للضرورة!

6- عند دخولنا اللعبة الديمقراطية فنحن لا نرضى عن سياسة الحكومة الكافرة ولنا الحق في أن نعترض عليها..!

7- نحن متأولون!

الجواب: انظر رسالة (شبهة المصالح والمفاسد في الجهاد وفي الدخول في الديمقراطية).

وختاما: فـ (الديمقراطية) ليست هي خيارنا الوحيد –كما يقولون! – بل خيارنا الوحيد هو الإسلام والشريعة ... وأي خيار نرتضيه غير الإسلام والشريعة؛ يعني الانسلاخ كلياً من دين الله تعالى والدخول في دين الطاغوت...! وأيما حزب أو فرد يقف مع الديمقراطية وينشدها كحل أمثل، وبديل أوحد لما تعاني منه الشعوب، فهو في حقيقة أمره وواقع عمله – علم أم لم يعلم – يقف ضد الإسلام، وضد أي مشروع إسلامي يستهدف استئناف حياة إسلامية راشدة على وجه الأرض ...

وإن قال بلسانه غير ذلك! والمسألة عندنا مربوطة بالتوحيد وأوثق عرى الإيمان ويستدل لها وعليها بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) التي بعث الرسل كافة من أجلها، وخلق الخلق كلهم لتحقيقها، وأنزلت الكتب من أولها إلى آخرها لتقريرها..

هذا مبدؤها ومنتهاها... فهي مسألة (إيمان وكفر) وليست مسألة اجتهادية.. لأنه لا اجتهاد مع النص، والقرآن من أوله إلى آخره نصوص تنهى عن الشرك وتدعو إلى هدمه والبراءة منه، فكيف يقال: أن المشارك بالشرك الصراح والكفر البواح مجتهد اجتهاد سائغ.. فهي حق الله وليست حق لنا حتى نتنازل عنها..

إن السـلامة مـن سـلمى وجارتها ... ألا تمـر بـواد قـرب واديهـا

وبعد كل هذا... ما هو الحل الواقعي الشرعي-الموافق للكتاب والسنة- والبديل عن الديمقراطية؛ لتغيير هذا الواقع المؤلم ونصرة المستضعفين وإزالة هؤلاء الطواغيت وتحكيم شرع الله في جميع مناحي الحياة؟!

الرسالة الخامسة:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾[3]

الجواب: إن هؤلاء الديمقراطيين وغيرهم من المستسلمين (جماعة "كما تكونوا يولّ عليكم" وجماعة "مش وقته" الضمير عائد على الجهاد!) **رسالتهم للأمة هي**: التأكيد على أن الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم هو حقيقة قائمة لا بد من الاعتراف بها والتعامل معها على هذا الأساس، وغرس روح القَبول بهذا الواقع والتكيّف معه بدلاً من محاولات تغييره، وتأصيل معنى الاستسلام والاستضعاف في قلوب الأمة، والتأكيدُ على أنه حالة متجذرة عميقة متشعبة لا وسيلة لعلاجها، ولا حيلة لتقويم اعوجاجها، ومن ثم فمن العبث التفكير في تغيير هذا الواقع واقتلاعه، فالواجب هو الاعتراف به ودوام استجدائه، والتعامل معه على أنه حقيقة قائمة، لا مجال لإنكارها أو التنكر لها، ولا فائدة من وراء أي سعي لإقامة غيرها، وهذه الفكرة بمجملها خطوة أولى نحو الدعوة (للتعايش السلمي العالمي)! وترسيخ (مفهوم المواطنة) بدلاً من (مفهوم الولاء والبراء)! والاعتراف بشرعية الأنظمة المرتدة التي تحكم المسلمين بقوانينها الوضعية وتلزمهم بالتحاكم إليها بحديدها ونارها، ومن ثم تسليط كلابها من جيش وأمن واستخبارات وشرط على كل من يعارضها أو يأبى الإذعان لها فضلاً عمن يحاول تغييرها واقتلاع جذورها....!!

وهل كُتب على الأجيال أن تفني أعمارها وهي بين الانتظار والاحتضار والتربص والتصبر؟! وأن تعيش تحت كبت الجاهلية، وجحيم القوانين الإجرامية، والاستسلام للمتجبرين الذي لم يدخروا وسيلة من وسائل الاستذلال والإخضاع إلا جربوها؟!

ومَن الذي قال إن أبناء أمة الإسلام المعتزّين بالله.."خير أمة أخرجت للناس" قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا، وأن يتسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، وأن عليهم أن يتيهوا في الأرض كلَّ أعمارهم ليبحثوا لهم عن ملجأ ومأمن يمُن به عليهم أعداؤهم في بلاد الغرب الكافر ويذروا بلادهم الإسلامية تصطلي بسعير الخوف والرعب والإجرام والتنكيل الذي يمارسه بدقة وعناية وإتقان وإصرار وحقد (ولاة الأمر)؟! ونحب أن ننبه إلى عدم صحة هذا الحديث "كما تكونوا يولّ عليكم" فقد ضعفه العلماء ومنهم الشيخ المحدث الألباني رحمه الله!

---

(3) [البقرة: 216].

فالصراط المستقيم والحل والبديل هو ما خطه النبي ﷺ ثم أمر الناس بالسير عليه لا بالبحث عنه! ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

فالحل الواقعي الشرعي- الموافق للكتاب والسنة- والبديل عن الديمقراطية؛ لتغيير هذا الواقع المؤلم ونصرة المستضعفين وإزالة هؤلاء الطواغيت وتحكيم شرع الله في جميع مناحي الحياة؟! هو:

1- **دعوة الناس إلى اجتناب الطاغوت:** (الحكام والحكومات المبدلة للشريعة - الديمقراطية والأحزاب المنضوية تحتها) - **كما هي دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام-** قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ [النحل:36].

وقال تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر:5].

"الرجز": هي الأوثان والطواغيت، وقيل: المآثم، وقيل: العذاب؛ أي العمل المؤدي إلى العذاب وأهله المعذبين، هذا ملخص ما ذكره المفسرون. وقال جل ذكره: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج:30].

قال الشوكاني رحمه الله: "واجتنبوا قَوْلَ الزور" الذي هو الباطل، وسمي زوراً؛ لأنه مائل عن الحق، ومنه قوله تعالى: ﴿تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ [الكهف:17].

وقولهم: مدينة زوراء، أي مائلة، والمراد هنا قول الزور على العموم، وأعظمه الشرك بالله بأيّ لفظ كان) اهـ.

وقال سبحانه: "وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً".. (مَرُّوا كِرَاماً) معناه: معرضين منكرين لا يرضونه ولا يمالئون عليه ولا يجالسون أهله..

وكما قال تعالى:﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:64].

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأبوا إلا أن يتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.. فما هو البديل..؟ وما هو الخيار الذي ينبغي أن ننحاز إليه بكليتنا؟ "فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" موحدون لا يمكن أن نُشرك بالله شيئاً.. ولا أن نرضى مثلكم بأن يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله.. فلنا ديننا.. ولكم دين. هذا هو البديل، وهذا هو الخيار الآخر لماّ يأبى القوم أن يدخلوا في التوحيد وفي سلم الإسلام كافة، ويأبوا إلا الشرك، وأن يتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله! ولنا في اعتزال شيخ الملة وإمامها إبراهيم υ لقومه وبراءته منهم ومما يعبدون من دون الله أسوة حسنة، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة:4] هذا هو الخيار.. وهذا هو البديل.. وهذا هو الطريق.. لا يتنكبه ويرغب عنه إلا من سفه نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة:130].

فكما أن (الإيمان): اعتقاد وقول وعمل، فكذلك (الكفر) بالطاغوت (اعتقاد وقول وعمل): فبغض الطاغوت في القلب، واجتنابه باللسان فلا يمدحه ولا يثني عليه، ويجتنبه بجوارحه، وله صور:

1- فلا يناصرهم بقول أو فعل ولا يكون جنديا لهم، قال تعالى ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ [هود:113].

2- ويجتنبهم ويعتزلهم: قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) ﴾ [مريم].

3- عدم مخالطتهم والجلوس معهم وقت كفرهم وسخريتهم بالإسلام ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [الأنعام: 140].

2- الأخذ بالأسباب والإعداد- بجميع أنواعه الستة:

2-1-الإعداد الإيماني والإعداد العلمي، قال تعالى: "هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آيته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة"

3- الإعداد المالي قال ﷺ: "جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم . (وفي رواية: وبأيديكم وألسنتكم" أخرجه النسائي وصححه الألباني.

4- الإعداد الإعلامي والدعوي 5-الإعداد البدني 6-الإعداد العسكري والإستراتيجي الذي يجمع بين القوة والإرهاب؛ امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60].

وقد فسر النبي ﷺ القوة بالرمي-كما في صحيح مسلم- فعن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة"؛ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي "وهذا التفسير منه عليه السلام نص في موضع النزاع بين من يقول: إن الإعداد للجهاد يكون بالتدريب على السلاح، وبين من يقول الإعداد يكون بالتربية والتزكية فقط، إذ أن الحديث يبين أن القوة التي أمر الله بإعدادها هي القوة المادية من مختلف أسلحة الرماية (من المسدس والكلاشنكوف مرورا بالبيكا والدشكة والأربيجي إلى المدافع والدبابات إلى تي. إن. تي وغيرها من المتفجرات) مع التدريب عليها وهذا مما لا يسع المسلم تركه مع الاستطاعة.

قال القرطبي في تفسيره:""وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" قال ابن عباس: "القوة هنا السلاح والقسي" اهـ.

وقال الصنعاني: "أفاد الحديث تفسير القوّة في الآية بالرمي بالسهام؛ لأنه المعتاد في عصر النبوّة، ويشمل الرمي بالبنادق للمشركين والبغاة، ويؤخذ من ذلك شرعية التدرّب فيه، لأن الإعداد إنما يكون مع الاعتياد، إذ من لم يحسن الرمي لا يسمى معدّاً للقوة" اهـ.

وننبه إلى أهمية (الكفر بالطاغوت) في هذه المسألة فإن من لم يكفر بـ (طواغيت الحكم) فسيحمل جميع الآيات والأحاديث على وجوب الإعداد المادي والعسكري على حكامهم وأولياء أمورهم! فيجب غسل اليدين والرجلين من هؤلاء الحكام!

وأمة الإسلام أمة جهاد، وقد جاء الاعتناء بهذا النوع من الإعداد حتى في حالة التمكين والغلبة لتكون الأمة في كل حين مرهوبة الجانب محفوظة الحقيقة، فقد قال النبي ﷺ: "ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه"رواه مسلم.

وللأسف: إن كثيراً ممن لم يفقهوا حقيقة هذا الدين يصرفون الشباب عن الإعداد العسكري إلى الإعداد العلمي- زعموا- وإلى التربية المزعومة عبر كرة الطائرة وصحون الكبسات! فمن لم يتربى في الخنادق فلن تنفعه تربية الفنادق!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية "ومن كان كثير الذنوب، فأعظم دوائه الجهاد، فإن الله عز وجل يغفر ذنوبه كما أخبر الله تعالى في كتابه بقوله سبحانه:" يغفر لكم ذنوبكم"" اهـ. الفتاوى (422/28).

فهذه فتوى شيخ الإسلام للتائبين والمذنبين أن يهذبوا أنفسهم ويتربوا في أرض الجهاد فهي كما قال أعظم دواء.

3- القتال في سبيل الله- وإن كنت وحدك- والتحريض على ذلك؛ امتثالا لقوله تعالى ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (لماذا يا الله؟) ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (لكن يا الله هم أشد منا بأسا!) ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ [النساء: 84].

قال الإمام القرطبي في تفسيرها: "هي أمرٌ للنبيّ بالإعراض عن المنافقين وبالجدّ في القتال في سبيل الله وإن لم يساعده أحد على ذلك".

وقال الإمام السعدي رحمه الله: "﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على القتال، وهذا يشمل كل أمر يحصل به نشاط المؤمنين وقوة قلوبهم، من تقويتهم والإخبار بضعف الأعداء وفشلهم، وبما أُعد للمقاتلين من الثواب، وما على المتخلفين من العقاب، فهذا وأمثاله كله يدخل في التحريض على القتال".

ولا بد للمسلم أن يعلم أن إقامة الدولة الإسلامية وبناء الحضارة الحقة لا يتحقق إلا بالقوة التي تحمي الحق وتدافع عنه، وهي سنة لا تتبدل ولا تتغير، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾، والآية تدل على سنة التدافع بين الحق والباطل ولولا أن الله تعالى يدفع بالمجاهدين في سبيله الكفار وغيرهم من المفسدين لفسدت الأرض باستيلاء الكفار عليها وتحكيم كفرهم فيها كالديمقراطية أو غيرها، وفتنة المسلمين وصدهم عن دينهم.

ومن الإفساد انتهاك الأعراض، وإزهاق الأنفس البريئة، والتجبر والاستطالة على المسلمين، ونهب خيراتهم ونفطهم. وفي الآية أن أئمة الكفر المجرمين الذين يسعون إلى العلو في الأرض والإفساد فيها

لن يوقف زحفهم ويصد عدوانهم، المهزومون القاعدون عن الجهاد، بل يدفعهم ويكف عدوانهم المجاهدون الصادقون، فإن أئمة الكفر لا تخيفهم وترهبهم إلا القوة التي تحول بينهم وبين مخططاتهم وأطماعهم، وهذا هو سبب بغضهم للجهاد في سبيل الله الذي أرق مضاجعهم، وأذل غرورهم، ونغص أمنهم وعيشهم، وأدخل في حياتهم الخوف والرعب والترقب، وكشف زيف قوتهم المدعاة.

واسمع لهذه البشارة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لاَ يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا" رواه مسلم.

وبالجهاد يتميز الناس إلى صفوف؛ صف أهل الإيمان والتوحيد، وصف الكفر وأهله، وصف الخذلان والنفاق.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (166) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.

فإن قيل: أنّ الجهاد فتنة! قلنا: ما قاله تعالى لأمثال هؤلاء: "ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين" وكيف يكون الجهاد فتنة وبالجهاد تُزال كلّ فتنة كما قال تعالى: "وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة"؟! فلو كان هناك طريق آخر لإزالة الفتنة — أي الشرك والصد عن سبيل الله- ويكون بها الدين كله لله سوى القتال لدلنا عليها ربنا عز وجل! فلا تشغل نفسك بهيشات الأسواق ولا بنيّات الطريق ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ﴾ [البقرة: 140].

ولا تعط لأعدائك فرصة ينعمون فيها بأمن ولا ارتياح ولا تفكير، واعلم أن ما يصيبك من الهم والحزن والألم والشدة فلهم مثله وأكثر كما قال ربنا عز وجل: ﴿ وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [النساء:104]..

قال السعدي رحمه الله: "وفي هذه القصة-قصة طالوت وجالوت- عبر كثيرة للأمة: فضيلة الجهاد في سبيله وفوائده وثمراته وأنه السبب الوحيد في حفظ الدين وحفظ الأوطان وحفظ الأبدان والأموال".

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: "واعلم أن الدعوة إلى الله بطريقين: طريق لين، وطريق قسوة.

أما طريق اللين فهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب وألطفه.

فإن نجحت هذه الطريق فبها ونعمت، وهو المطلوب، وإن لم تنجح تعينت (طريق القسوة بالسيف) حتى يعبد الله وحده وتقام حدوده وتمتثل أوامره وتجتنب نواهيه، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ الآية.

ففيه الإشارة إلى إعمال السيف بعد إقامة الحجة، فإن لم تنفع الكتب تعينت الكتائب، والله تعالى قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن" اهـ.

فليتحين من فاتته المشاركة فيما مضى الفرصة للمشاركة فيما هو آت، فإن الجهاد ماضٍ ولا بُدّ، وعلى الرغم ممّا تمخّض عنه في السابق من خيراتٍ حِسان - رُغم قلّة النصير، وكثرة النكير - فإنّ جراحات المسلمين لا تزال نازفة في شرق العالم الإسلاميّ وغَربه، ولا يكاد يلتئم جُرحٌ حتى يُثلَم ثغر جديد هنا أو هناك، فيهب لسدّه شبابٌ باعوا نفوسهم لله، وذاقوا حلاوة التضحية والجهاد، فغبّروا أقدامهم في سبيله، وعفّروا جباههم بتراب الرباط في ميادينه وعلى ثغوره، غير آبهين أو مبالين بصَلَف الطغاة وخُذلان بعض الدعاة كما أخبر الله عنهم ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وأخبر عنهم رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ" متفق عليه.

فطريق النصر والتمكين في القرآن الكريم-باختصار-:

هو (1) الدعوة إلى تحقيق التوحيد واجتناب الطاغوت والشرك: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور].

(2) الإعداد الشامل والقتال في سبيل الله: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60) ﴾ [الأنفال].

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة].

إن من المرفوض شرعا أن يكون العلمانيون واللادينيون مدعومين بقوة العسكر وتأييد الغرب في حين أن الدعاة إلى الله عز وجل عزّل من كل أسباب القوة ولا يملكون من أوراق الضغط إلا الاستجداء والاستعطاف وإن غضبوا فلا أكثر من الشجب والتنديد!! إن حكم الشريعة الذي يفيض بمعاني السيطرة والغلبة لا يمكن أن يتحقق على أرض الواقع ولا يمكن أن يستمر بعد تحققه إلا بقدر من القوة.

والتاريخ البشري عموما والأحداث المعاصرة خصوصا تشهد لصحة ذلك... ففي طريق الدعوة نحتاج إلى القوة عند اصطدام الأغلبية المطالبة بشرع الله بالأقلية الرافضة له.. وفي طريق التغيير بالقوة نحتاج إلى الدعوة لأنها هي الوسيلة لتكثير السواد وجمع الأنصار... فبان بذلك أن هذين الطريقين ليسا في الحقيقة إلا طريقا واحدا يجمع بين حكمة الدعوة باللسان وقوة الجهاد بالسيف والسنان وأنهما مترابطان لا ينفصلان.

فهذا هو السبيل الوحيد لإنقاذ هذه الأمة من وضعها المزري، ومهما بذلنا من جهد واستفرغنا من وسع في غير هذا الطريق فإننا بيقين سنبقى بعيدين كل البعد عن الوصول إلى الغاية المرجوة وعلى رأسها إقامة الدين والتمكين لشريعة رب العالمين وتحطيم كل الآلهة –بشرية كانت أم رمزية– التي تحول بيننا وبين عبادة ربنا كما يحب ويرضى.

فالمشكلة ليست في انعدام البدائل ولكنها في انعدام التضحية والإرادة الجادة! ولكن بعض الناس لا يريد إلا بديل الرخاء والدعة والسكون كما قال تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾!!

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم والأغر ابن حاتم

فهمّ الفتى الأزدي إتلاف ماله ... وهمّ الفتى القيسيّ جمع الدراهم

فلا يحسب التمتام أني هجوته ... ولكنني فضلت أهل المكارم

ولله در القائل:

فتيانكم.. أكل الفتى.. فتيانكم.. لعب الفتى.. فتيانكم.. نام الفتى ..كبر الفتى ..ثم انتهى وتبلّدا!

فتياننا.. رحل الفتى.. فتياننا.. هجم الفتى.. فتياننا جرح الفتى.. نزف الفتى.. ثم ارتقى واستشهدا!

هذا والله أعلم وأحكم وصلى الله على نبينا مُحَّد وآله وصحبه وسلم.

بيت المقدس